***سلسلة سعوديات العدد رقم "٣"***

# "الشُبَهاء"

**للمؤلف / خالد بن عبدالكريم الحقيل**

بريد إلكتروني: kh74444@gmail.com

Twitter

@KhaledAlhuqail

ⓒ خالد بن عبدالكريم الحقيل، ١٤٣١هـ
*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

الحقيل، خالد عبدالكريم حمد
الشبهاء./ خالد عبدالكريم حمد الحقيل. – الرياض، ١٤٣١هـ
١٢٥ص؛ ١٤.٨٠×٢١سم. – (سلسلة سعوديات؛ ٣)
ردمك: ٩-٥٤٢٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية – السعودية أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٨١٣.٠٣٩٥٣١ ١٤٣١/٥٥١٠

رقم الإيداع: ٥٥١٠ / ١٤٣١
ردمك: ٩-٥٤٢٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة لدى المؤلف

# مقدمة

عندما تتصور بعض العقول المستقبل، ويتحدث بعضها الآخر عن الخيال، بجميع ثقافاتها، وديانـاتها، ولهجاتها، وفي عصر أصبحنا فيه بأمس الحاجة إلى التصور، والابتكار، والتجديد...

وعندما يصبح شبابنا يتشدقون بأفكار غيرهم، وتطلعاتهم المختلفة عن مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة، وعندما يختلط الحابل بالنابل والجيد بالسيئ، والمقبول باللامقبول.. عندها برزت فكرة "سعوديات" فقط...

وهي التي تعنى بتقديم روايات خيالية، واجتماعية، وكوميدية، ولكن بنكهة "سعودية"...

سنبتسم، وسنبكي، وسنعبر الفضاء، ونجوب الأرض، ولكن بتصور، وإحساس "سعودي" هذه المرة...

**خالد الحقيل**

## أبطال السلسلة:

- فهد: لواء متقاعد، ملفه مليء بالنجاحات، ومكتبته مليئة بدروع الشجاعة.

  رجل خُلق عسكريا بالفطرة، وهو ذو حكمة وأمانة مشهود لها في جميع أوساط الجهات الأمنية.

- المقدم سامي: والد فارس، وهو ضابط سعودي شجاع، ضحى بنفسه من أجل إنقاذ كوكب الأرض من غزو خارجي.وهو يرقد في غيبوبة كاملة منذ أعوام طويلة.

- فارس: شاب سعودي، تدرب على يد أمهر مدرب كونغ فو بالعالم، حتى تفوق عليه، يجيد اليوجا، وهو أستاذ في علم الاتصالات.تلقى تعليمه في مدارس أجنبية بالصين، ويجيد اللغة الإنجليزية والصينية إضافة إلى الإسبانية، ويقال إنه عبقري في فن التعامل مع الحاسب الآلي. لديه مجموعة مهارات يندر بل يستحيل توافرها في رجل واحد.

- نور: والدة فارس وابنة اللواء فهد، خبيرة اتصالات بارعة ونابغة في علم الفلك وأبحاث الفضاء، حصلت على الماجستير والدكتوراه في هذين المجالين، وهي زوجة لبطل سعودي أنقذ الأرض من استعمار فضائي، وهو المقدم سامي.
- هشام: ابن اللواء فهد وخال لفارس، عالم في مجال الكيمياء الحيوية، والتركيبات الكيميائية.
- مارينا: شابة إسبانية الأب وصينية الأم، وهي زوجه لفارس، عبقرية في علم الجيولوجيا، ونابغة بطبقات الأرض، ولها عدة أبحاث بعالم الكائنات الحية في البحار.

******

# الشُبَهاء

# البداية الصعبة ..

لم يستطع اللواء فهد وهو ذلك العسكري المتمرس من الجيل السابق أن يخفي إعجابه بما وصلت إليه قدرات حفيده فارس ابن المقدم سامي، ذلك البطل الذي ضحى بنفسه يوماً من أجل الأرض[١] وهو يرمقه يتدرب بطريقة احترافية قاسية بالجزء الخلفي من فناء منزلهم بمدينة الرياض قائلا بصوته العالي وبشكل حاول أن يستفز به حفيده: إلى متى ستتدرب يا فارس وقد أمضيت ١٤ عاماً تحت يدي أبرع مدربي العالم ولم تفلح بعد...!

أنهى فارس لدى سماعه عبارة جده تدريبه بقفزة جاوزت الخمسة أمتار بشكل أفقي ثم أردفها بقفزة مماثلة قبل أن يدور رأسا على عقب بطريقة أكروباتية معقدة ليتمركز على الكرسي المجابه لجده وهو يرد قائلا: وإلى متى ستستمر يا جدي بعباراتك الاستفزازية لي على الرغم

(١) للمزيد من التفاصيل راجع العدد رقم ١ من سلسلة سعوديات تحت عنوان: "المنشق".

من أني مصنف رقم واحد عالميا حسب تصنيف أشهر المجلات الرياضية العالمية!

اتسعت شدقتا اللواء فهد لدى سماعه رد فارس وقبل أن يفتح شفتيه للرد تدخلت والدة فارس وابنة اللواء فهد نور[٢] قائلة بابتسامة مماثلة لأبيها: ما رأيكما تنتهيان من هذه المناورات الكلامية وكأنكما محاميان فاشلان وتتجهان إلى مائدة الإفطار، فقد حضرت لكما مارينا وجبة إفطار لن تخطر لكما على بال.

علا حاجبا اللواء فهد وهو يشير إلى فارس: ماذا تتوقع أن تكون زوجتك الحسناء حضرت لنا يا أيها المتحذلق..؟

غمز فارس بعينه وهو يبتسم بخبث قبل أن ينهض من مقعده ويتجه إلى حجرة الطعام قائلا: يبدو أنك يا سعادة اللواء فقدت الكثير من حسك البوليسي المعتاد وتحتاج إلى الراحة التامة.. وقبل أن يكمل عبارته فز اللواء فهد من مكانه مبدياً ثورة عارمة ليلوح بأحد الأكواب البلاستيكية الفارغة باتجاه فارس الذي اختفى بالداخل وهو يقهقه

(٢) للمزيد من التفاصيل راجع العدد رقم ٢ من سلسلة سعوديات بعنوان: "فارس".

ضاحكا، ليلتفت اللواء فهد باتجاه ابنته نور التي تفاجأت من تغير معالم وجه والدها مئة وثمانين درجة من النقيض إلى النقيض، حيث وبمجرد اكتمال التفاتته انسحبت ملامح الغضب لتحل مكانها ملامح الود وهو يقول لنور: لا أدري ماذا سأفعل عندما يستقل فارس بسكنه الجديد مع زوجته...لقد اعتدت فعلا على مناوشاته لي يومياً ولا أدري كيف سأكون حينئذ؟!.

طبطبت نور على كتف والدها برفق وهي تقول: إنها سنة الحياة يا أبت، لم يمض أكثر من شهر على عودتنا من الصين، ومازال هناك متسع من الوقت قبل أن يقرر فارس ماذا سيفعل بحياته وكيف سيقضيها و..

بترت نور عبارتها عندما شاهدت لمعة تنبئ بشجن داخل عيني والدها الذي أشاح ببصره بعيدا وهو يقول: لقد تذكرت لتوي فارس، عندما كان يداعبني بمسدس أطفال منذ ١٥ عاماً.. لقد جدد فارس من نشاطي وإقبالي على الحياة يا نور.

لم تكد نور تفتح شفتيها لترد قبل أن يتردد صوت فارس وهو ينادي من بعيد بصوته القوي: لن نتناول الطعام قبل مجيئكما يا أبتاه.

انطلق اللواء المتقاعد فهد، خلف الصوت مباشرة تتبعه نور ليجدا مائدة بالفعل تسحر الألباب، ما دعا نور أن تقول موجهة حديثها إلى مارينا بنبرة حاولت أن تظهر فيها نوعا ما من الغيرة: يبدو أنك تريدين أن تحتلي دوري بالمطبخ يا مارينا...!

احمرت وجنتا مارينا لتزداد توردا وحسناً على جمالها الأخاذ وهي تتلعثم قبل أن يرد فارس بدلاً عنها: لم ولن يجردك أحد كائناً من كان، من منصبك يا أماه كأبرع طاهية في العالم!.

رمقت مارينا زوجها بنظرة ارتياح لتخليصها من ذاك المأزق الذي وجدت نفسها به قبل أن يستلم اللواء فهد دفة الحديث قائلاً وبشكل مباغت:

فارس.. هل قررت إكمال تعليمك الجامعي ؟

– فارس: أعتقد أنني سألتحق بكلية الملك خالد العسكرية نظراً إلى ميولي المستقبلية في خدمة وطني أمنياً.

– أحسنت يا فارس! ولك مني أن أسعى من الغد في إتمام التحاقك بالكلية، فهي بالفعل..

لم يتمم عبارته حتى قاطعته نور قائلة بعصبية مبالغ فيها: لماذا يا أبت..

– لماذا ماذا يا ابنتي..؟!

– استجمعت نور قواها قبل أن تقول: لماذا نحتم على فارس أن يقضي جل حياته بالسلك العسكري، منذ نعومة أظفاره وإلى الآن أصبحت حياة فارس ليست له؟.

خيم السكون بعد عبارتها الأخيرة التي أحست نور أنها جرحت فارس معنويا قبل أن يرد عليها فارس بصوته القوي وبنفس ثقته المطلقة بنفسه: مطلقا يا أماه! لم يفرض علي أن أخوض ما ليس لي به رغبه، جينات والدي المقدم تعيث بداخلي ولن يهدأ لها بال قبل أن أصل إلى مستواه، وأن أفني حياتي لخدمة ديني ثم وطني.

كان فارس يتحدث ومارينا ونور تبكيان من شدة التأثر فيما ازداد إعجاب اللواء فهد بحفيده إلى الذروة وهو يذكره بصباه.

قطع هذه المرة حديث فارس وانفعالات الجميع رنين جوال اللواء فهد الخاص بالقيادة العسكرية العليا، إلى أن التقط اللواء فهد هاتفه وهو يتجه إلى الخارج.

فيما اتجه فارس إلى والدته ليقبل رأسها ويدها قبل أن يقول: اعذريني يا أماه! فأنا بالفعل لست ملكا إلا للذي خلقني– سبحانه وتعالى – وسأقوم بكل ما يمليه علي ضميري تجاه ديني وبلادي... أتكرهين أن أنال شرف ذلك..! قالها فارس وهو يبتسم في خبث..

– ارتسمت ابتسامة على محيا نور المليء بالدموع وهي تبتسم بحنان قائلة: لن تتخلى عن أسلوبك هذا يا فارس...حسنا...سكتت قليلا قبل أن تلتقط أنفاسها وتقول: بل سأفخر بك يا بني.

لم تكد تنهي كلمتها حتى اتجهت إليها مارينا أيضا لتقبل رأسها أسوة بفارس حتى ولج اللواء فهد قائلاً بصوته الجهوري: ماذا تفعلون أيها المهرجون...؟ هل تؤدون دوراً هزلياً في مسرحية فاشلة..؟

تبسم الجميع قبل أن يلوح فهد بذراعه قائلاً: هلم إلى حجرة الاجتماعات واطلبوا ابني هشام، فالأمر هذه المرة خطير..قالها بكامل الجدية ما دعا الجميع إلى تبادل النظرات بقلق.. منتهى القلق.

******

# تحت الرمال

لم يستطع باحث الآثار الشهير أن يقف مكتوف اليدين وهو يرى في تلك المنطقة من الربع الخالي[٣] الشهير بالمملكة العربية السعودية ذلك المنظر العجيب ولا يحاول أن يستشف الأمر.

كان د. وحيد يحاول مع فريقه العلمي بحث طبيعة تكوينات حجرية غريبة بوسط رمال الربع الخالي، متنافية مع أقل درجات المنطق، فكما هو معروف أن منطقة الربع الخالي وخصوصاً تلك المنطقة

---

(٣) **الربع الخالي** وتعرف أيضا باسمها التاريخي: **صحراء الأحقاف** ، صحراء رملية في جنوب شرق الجزيرة العربية، وتعد من أكبر الصحاري الرملية بالعالم وهي تحتل الثلث الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، ويتجزأ الربع الخالي بين أربع دول هي المملكة العربية السعودية واليمن والإمارات وعمان، ويقع الجزء الأعظم منه داخل الأراضي السعودية.

تعد مساحات كبيرة منها غير مستكشفة بعد، وغير مأهولة، يصل طول الصحراء إلى ١٠٠٠ كم وعرضها إلى ٥٠٠ كم.وكثبان رملية أعلى من برج إيفل –أكثر من ٣٣٠ م– ولكن هناك شركات سياحة تقدم رحلات مجهزة بأنظمة GBS.

التي توقف لديها الفريق هي عبارة عن كثبان رملية متحركة أحيانا ببعض الجهات، ولا تستطيع تركيبات صخرية ضخمة أن تستمر بالبقاء فوقها نظراً إلى هشاشة القاعدة السفلية للرمال، إلا أن قائد الفريق د. وحيد استوقف رجاله عندما تراءى له ذلك المنظر بقلب الرمال المتحركة حيث شاهد هنالك تمددات صخرية ضخمة تطفو على سطح الرمال بشكل لافت ومثير للتساؤل.

– غير معقول: قالها عالم الجيولوجيا د. حازم وهو يشير إلى سائق مركبته بالاقتراب قليلا من مجال ذلك التمدد الصخري الذي لم يشاهد مثله من قبل خلال حياته الحافلة.

– سيدي أعتقد أنها مجرد عروق رملية تكلست مع الزمن واتخذت أشكالاً صخرية – قالها ذلك المهندس الجيولوجي وهو يحدق بتلك البروزات الصخرية من مسافة تقارب الثلاثين متراً مترجلاً من مركبته ليقابل د. وحيد الذي ترجل أيضاً من المركبة، مشيراً إلى مركبتين أيضا تخصان بقية فريقهم ليترجل الجميع من المركبات ويكونوا حلقة يبلغ نصف قطرها عشرين متراً حول تلك الظاهرة الغريبة.

قطع المهندس الجيولوجي منير صمت الجميع عندما قال وهو يقترب أكثر من مكان تلك الصخور: أعتقد أنها ظاهرة طبيعية و.. وقبل أن يكمل حديثه وعلى الرغم من أنه كان يعي بالضبط أنه بمنطقة رمال هشة إلا أنه وفجأة أمام أعين الجميع..اختفى.

بالفعل عزيزي القارئ.. لم تخنا العبارة عندما قلنا إنه اختفى تماماً ولم يغرق بالرمال..

بهت كل من بالموقع من الرجال وعددهم ثمانية، إضافة إلى الدكتور حازم والمهندس الجيولوجي الآخر ثامر لدرجة أنهم لم يحاولوا حتى إنقاذ المهندس منير حيث تصلبت أقدامهم وبمجرد أن فكروا مجرد التفكير بالهروب عبر مركباتهم شاهدوا ما لم يشاهدوه.. ولن يشاهدوه حتماً فيما بعد..

***

اجتمع اللواء فهد ببقية فريقه وهم حفيده فارس وابنه هشام وابنته نور وزوجة فارس مارينا، وهم الذين سبق وخاضوا معه مهمة

أشبه بالخيال وانتصروا بها ما جعل القيادة العسكرية تثق بهم وتصبغ على فريقهم صبغة الرسمية على الرغم من عدم ارتباطه رسميا بالدولة[٤].

أولا.. قالها اللواء متقاعد فهد بكل جدية وهو يعكف يديه خلف ظهره ويشيح ببصره إلى النافذة ما جعل أعضاء الفريق يشحذون كامل حواسهم لالتقاط ما يقوله اللواء فهد بكل اهتمام قبل أن يستطرد اللواء فهد قائلاً: إننا فيما يبدو أمام مهمة معقدة نوعاً ما.

- أهي أمنية يا أبت..؟

قالها هشام فيما بدا اللواء فهد وكأنه لم يسمعه عندما أكمل: هنالك منطقة بالربع الخالي أصبحت.. وصمت قليلاً وهو يرمق الجميع بنظراته الثاقبة قبل أن يستجمع شجاعته ويقول.. كمثلث برمودا [٥] !!.

---

(٤) للمزيد من التفاصيل راجع العدد رقم ٢ "فارس"

(٥) **مثلث برمودا** (بالانجليزية: Triangle Bermuda) (المعروف أيضا باسم "مثلث الشيطان") هي منطقة جغرافية على شكل مثلث متساوي الأضلاع (نحو ١٥٠٠ كيلومتر في كل ضلع) ومساحته نحو ١.١ مليون كم ، يقع في المحيط الأطلسي بين برمودا وبوبورتوريكو وفورت لودرديل (فلوريدا).

لم يكد فهد ينهي عبارته حتى قال فارس: وما حيثيات القضية يا جدي؟، وما الذي جرى بالضبط هنالك؟.

– لم أتلق كامل التفاصيل ولكن الفريق سالم اتصل بي منذ قليل وقدم لي نبذة بسيطة عن المهمة مؤكدا أن علينا التوجه إلى مكتبه في غضون ساعة..

– مارينا: وهل سنرافقكم أنا والخالة نور أم سنكون خارج المهمة؟..

– أعتقد أنكما من ضمن الفريق يا مارينا، وقد تم طلب الجميع، لذا عليكما الاستعداد في غضون ربع ساعة وأنت يا فارس اذهب لتجهيز السيارة وأنا وهشام سنوافيك بعد دقائق..

---

هي منطقة شهيرة نشر كتاب ومؤلفون في منتصف القرن العشرين عدة مقالات وأبحاث تتحدث عن مخاطر مزعومة في المنطقة. ولكن إحصاءات خفر السواحل للولايات المتحدة لا تشير إلى حدوث حالات اختفاء السفن والطائرات في مثلث برمودا أكثر من مناطق أخرى. وبحسب المعتقدات الشعبية يؤمن بعضهم بوجود مقر المسيح الدجال .

– دب النشاط بغتة في أعضاء فريقنا لدرجة أن أحدهم لم ينبس ببنت شفه، وكأنهم متلهفون لعملية أخرى تنسيهم حالة والد فارس الصحية الذي يرقد في غيبوبة منذ قرابة ثمانية عشر عاما[٦].

– لم تكد تمضي الدقائق الخمس عشرة حتى كان الجميع في مقاعدهم وفارس يدير دفة القيادة عبر ذلك الجيب الأمريكي الصنع متجهاً إلى مبنى الاستخبارات العامة، وكل منهم تدور برأسه عشرات الأسئلة حول كنه المهمة القادمة، وما مدى خطورتها على أمن البلاد.

******

(٦) للمزيد من المعلومات راجع رواية "المنشق".

# مهمة مستحيلة ..

نعود لأعضاء ذلك الفريق البحثي بصحراء الربع الخالي بقيادة د.وحيد الذين شلهم الذهول مما رأوا أثناء محاولتهم الفرار بعد اختفاء أحد رفاقهم أمام أعينهم بغتة وسط الرمال.

انتفضت تلك الرمال وكأنها آدمي وليست جماداً وسط ذعر الجميع وصراخهم حتى تكونت موجة رملية عاتية تنافس موجات التسونامي[٧] بارتفاع تجاوز الخمسة أمتار لتنقض على الجميع بلا هوادة مخلفة

(٧) يعتبر **التسونامي** مجموعة من الأمواج العاتية تنشأ من تحرك مساحة كبيرة من المياه، مثل المحيط وينشأ التسونامي أيضا من الزلازل، والتحركات العظيمة سواء على سطح المياه أو تحتها، وبعض الانفجارات البركانية، والانهيارات الأرضية والزلازل المائية، وارتطام المذنبات وانفجارات الأسلحة النووية في البحار. ونتيجة لذلك الكم الهائل من المياه والطاقة الناجمة عن التحرك، تكون آثار التسونامي مدمرة. كان المؤرخ اليوناني توسيديديس أول من ربط الزلازل تحت الماء بالتسونامي، ولكن فهم طبيعة تسونامي ظلت محدودة حتى القرن العشرين وهو ما زال محط اهتمام كثير من الأبحاث الجارية. وكان يشار إلى تسونامي في النصوص القديمة الجيولوجية والجغرافية وعلوم المحيطات *بموجات السزيمك البحرية* و تشهد بعض العواصف الجوية درجات توتر عالية الأرصاد الجوية تؤدي إلى الزوابع، والأعاصير التي تولد – عواصف عارمة ترتفع عدة أمتار فوق مستويات المد العادية. ويرجع ذلك إلى انخفاض الضغط الجوي داخل مركز التوتر. وعندما تقترب هذه العواصف العارمة من الشواطئ تغرق مساحات شاسعة من الأراضي مثلها مثل التسونامي. ولكنها تسونامي بحد ذاتها. مثل هذه العواصف أغرقت بورماوميانمار (في أيار / مايو ٢٠٠٨).

بعدها بعضاً من أحذيتهم ونظاراتهم الشمسية وخلال بضعة ثوان عادت الأمور إلى ما كانت عليه، وكأن شيئا لم يكن وسط صرير تلك الرياح الجافة داخل تلك المنطقة الكئيبة من الربع الخالي..!!

ماذاا..قالها صائحا الفريق سالم وهو يستقبل نبأ اختفاء فريق الدكتور وحيد وهو يكمل في ثورة موجهاً حديثه إلى الرائد حسن قائد فريق التتبع المكلف بتقصي الحقائق: إنه ثاني فريق يختفي خلال أقل من يومين في تلك المنطقة الجدباء..!!

– ولكن سيدي..

قاطعه الفريق سالم وهو ينتصب من جلسته قائلاً: هل تمازحني يا هذا: قرابة خمسة عشر عالماً يختفون ولا يتبقى إلا بضعة أجزاء من نظارات وأحذية مهترئة وتقول لكن..

حينها اتجه اللواء سعد لتهدئة الفريق سالم قائلاً: سيدي أن الرائد حسن وفريقه حاولوا جاهدين معرفة ما يحدث بالمنطقة دون جدوى.. وكما تعلم أن الفريق فهد وفريقه على أهبة الوصول إلينا ولا أريد أن يروك بهذه الحال سيدي، حتى لا تؤثر فيهم سلباً.

انتفض الفريق سالم وكأنه عاد إلى رشده بغتة ثم قال: اعذروني يا سادة لم أتمالك نفسي وعاد مجدداً يستلقي على مقعده وكأن شيئا لم يكن بينما قال الرائد حسن وهو يؤدي التحية العسكرية: خدمات أخرى سيدي ؟

– لا يا بني ولكن أضف ملابسات اختفاء فريق الدكتور وحيد إلى أوراق القضية وخلال أقل من ساعة أريدها على مكتبي.

– عُلم سيدي وسينفذ، قالها الرائد حسن وهو لا يصدق أنه غادر الحجرة بسلام ورتبته العسكرية ما زالت لامعة على كتفه.

اتجه اللواء سعد بمجرد انصراف الرائد حسن إلى الفريق سالم وجلس أمامه على المقعد وقال: سيدي: ماذا تعتقد بخصوص فريق اللواء فهد..؟

– ماذا تقصد بسؤالك..؟

– أعني هل تعتقد أنهم سيقبلون المهمة ولم يمض أقل من شهر على خوضهم المهمة السابقة...؟

– حقيقة لا أدري يا سعد، ولكن أعتقد أن اللواء فهد وفريقه وطنيون إلى أبعد الحدود ولا أعتقد أنهم..

وقبل إكماله مقطع عبارته ارتفع رنين الجرس بجانب مكتبه ليجيب عليه: حسنا اسمحوا لهم بالدخول وأضيئوا الأنوار الحمراء خارجاً وامنع إيصال أي مكالمة خارجية لي..

قالها وهو يتأهب للوقوف حتى دلف اللواء فهد ومعه بقية أعضاء فريقه ليعانق الفريق سالم واللواء سعد معرفاً إياهما ببقية فريقه حتى قال الفريق سالم: إنهم أشهر من نار على علم يا صديقي، دع المجاملات جانبا يا فهد، فالقضية هذه المرة أخطر من سابقتها..

لم يبد أن فريقنا تفاجأ بعبارة الفريق سالم الأخيرة وتعاملوا مع الأمر كمحترفين فعلاً، ما شجع الفريق سالم على دعوتهم إلى الولوج إلى حجرة جانبية، بينما قام اللواء سعد بتشغيل جهاز عرض "برجيكتور" في أقصى الحجرة لتبدأ الأحداث والصور المتعلقة بمنطقة الاختفاءات تتوالى والعبارات بأسفل الشاشة بالأرقام والبيانات التحليلية لتلك المشاهد تتراص بشكل دقيق ومنظم، ولم يكد العرض ينتهي حتى

استأذن الرائد حسن ودلف إلى الحجرة ليسلم تقريره النهائي إلى الفريق سالم ثم يؤدي التحية وينصرف فيما انشغل أعضاء الفريق بمتابعة تحليل تلك المشاهد فيما بينهم حتى قطع الفريق سالم حديثهم بقوله: عزيزي فهد: إننا كما ترون أمام قضية تمس أمن البلاد بالكامل، فتلك الاختفاءات تتوالى، ومعظم المختفين خبراء من دول أجنبية، حتى إن هنالك أكثر من دولة حاولت إقناعنا بإرسال فرق تقصٍ، وتم رفضها جميعاً.

فلم ولن نسمح لجهات أجنبية بالعبث بأمننا أو التدخل في شؤوننا الداخلية.

ثم صمت قليلا قبل أن يكمل: أنتم بعد توفيق الله- سبحانه وتعالى – أملنا في إثبات أننا كفيلون بحماية مقدراتنا الداخلية وحفظ كل من عليها مهما كانت التحديات..

اللواء فهد: وهل تعتقدون سيدي أن هناك جهات خارجية خلف هذه الاختفاءات..؟

– كل التوقعات واردة يا فهد، فلو تلاحظ أن كل الرجال يختفون في منطقة واحدة يتراوح نصف قطرها ما بين ثلاثمئة متر إلى كيلومترين. وللأسف اختفت كل كاميرات الفريقين كما اختفت مركباتهم ومعداتهم ولا نعلم كيف تمت تلك العمليات..؟

اطرق اللواء فهد برأسه قليلاً قبل أن يقول: وماذا عن تصوير الأقمار الاصطناعية..؟

نظر إليه الفريق سالم ملياً بينما اتجهت كل الآذان إلى جهة شفتي الفريق سالم الذي قال ولكن بنبرة هادئة ومخيفة هذه المرة:

كل الالتقاطات الفضائية لخمسة من أقمارنا باءت بالفشل !

وصمت قليلاً قبل أن يضيف: لقد تم التشويش عليها من جهة مجهولة ولكنها تتفوق علينا تكنولوجيا كما بدا لنا بمراحل !

– تدخل فارس بالنقاش قائلاً ولأول مرة منذ بدء الاجتماع، وكأن الأمر بدأ يستهويه: وماذا عن وكالة ناسا للفضاء والأقمار الأمريكية؟

– التفت إليه الفريق سالم وكأنه يراه للمرة الأولى وهو يقول: تم التشويش عليها كذلك لدرجة أن علماء ناسا وحتى هذه اللحظات يكاد

يجن جنونهم، فهي المرة الأولى التي يظهرون بها بالطرف الأضعف بيد أنهم بدأ بتوجيه اتهامات إلى جمهورية الصين !

وسكت قليلاً قبل أن يشبك يديه خلف ظهره ويتجه إلى النافذة الأمامية لحجرة الاجتماعات قائلاً: العملية أصبحت الآن محط أنظار العالم وقدراتنا أمامهم على المحك.

لم يدخر اللواء فهد دقيقة واحدة قبل أن يقول بلهجته الجادة: ومتى نباشر مهمتنا سيدي..

– منذ الآن لو أردتم وكل الأدوات التي ترغبون بتوافرها ستكون موجودة في غضون ساعات...

ثم اتسعت ابتسامة الفريق سالم وهو يدير جسده مجدداً ويتجه إلى اللواء فهد شاداً بيده على يد فهد وهو يغمز بعينه إلى اللواء سعد، مشيراً إلى وطنية اللواء فهد وفريقه وأنهم لن يتقاعسوا للحظة لقبول العملية مهما كانت مخاطرها، دون أن يدري أن تلك المهمة ربما ستكون الأخيرة للواء فهد وفريقه.

******

# رحلة بلا رجعة ..

انتفضت تلك المروحية الحربية وهي تقل فريقنا إلى تلك المنطقة الرملية وسط تلك البقعة القاحلة بالربع الخالي، ولم يقطع هدير المروحية وهي تتأهب للهبوط سوى صوت فارس وهو يقول لزوجته مارينا: كيف هي أجهزتك ؟

التفتت إليه مارينا وهي تعدل بأحد أجهزة الرصد الجيولوجي قائلة: على أتم الاستعداد.

شاركهما هشام الحوار وهو يقول: وماذا عنك يا نور: بدت نور وكأنها لم تسمعه إلا أن اللواء فهد كرر السؤال هذه المرة ما جعل نور تنتفض وكأنها استيقظت من إغفاءة وهي تقول: جميع الأجهزة المتعلقة بمتابعة الرصد الفضائي جاهزة للعمل..

هشام: وماذا عن إشارات الإرسال الفضائي؟

– مكتملة الأبراج، وكأننا بوسط مدينة الرياض ولسنا بصحراء قاحلة كهذه.

قاطعهما ذلك الصوت الإلكتروني الرتيب وهو يقول: على الجميع التأهب للنزول، درجة الحرارة تقارب الـ٥٠ درجة مئوية، ومستوى الرؤية الأفقية ممتاز، وسرعة الرياح "في حدود المعقول".

لم يكد ذلك الصوت الآلي يصمت حتى هدأت مروحة الطائرة بينما قام الطيار بالوقوف والسلام على أعضاء الفريق ثم اتجه إلى اللواء السابق فهد وسلمه جهازا صغيرا وقال له:

سيكون بالقرب منكم على بعد خمسة كيلومترات معسكر لرجالنا إن تعرضتم لأي مخاطر فقط اضغط هذا الزر وأفصح عن كودك الأمني.

رد عليه اللواء فهد: ولكن..

قاطعه ذلك الطيار قائلاً: الفريق سالم وجه بهذا الأمر، ولتقديره لوجود نساء بالفريق جعل مقر المعسكر بالجهة الأخرى من المنطقة باتجاه

الغرب وعلى بعد خمسة كيلومترات حتى يتمكنوا من الوصول لكم متى ما استدعت الحاجة.

حاول هشام أن يقاطعه إلا أنه أكمل وهو يمد بيده مفاتيح بدت لسيارة قائلاً: وتلك المركبة لإكمالكم المهمة للتنقل بالصحراء.. قالها والجميع يلتفت إلى تلك السيارة القوية من طراز همر التي وجدوها بمجرد أن وطأت أقدامهم أرض تلك الصحراء رابضة فوق الرمال، ثم اتجهوا إلى ذلك المخيم الصغير الذي أعد لهم سلفاً وتفاجؤوا بمدى جاهزيته حتى أجهزة الترشيح وتنقية الهواء لم ينسوها فيما قال هشام: مرحى يا أبت: أرى أن الوضع بدا يميل إلى الرفاهية..

قاطعه فهد: اصمت يا بني، فالأمر لا يحتمل سخريتك.

ثم أشار إلى مارينا قائلا: مارسي نشاطك يا ابنتي وستجدين كل ما يلزمك من أجهزة بالمخيم..قالها ثم اتجه إلى داخل المخيم دون أن يضيف أي كلمة إضافية.

ما دعا نور إلى أن تلتفت إلى أخيها هشام قائلة:

لم أر أبي بهذا التوتر من قبل على الرغم من أني أرى المهمة ليست بالصعوبة ذاتها تلك التي صوروها لنا.

– أشاركك الرأي، ولكن يجب ألا نستخف بالأمر.

بالفعل... قاطعهم صوت فارس وهو يتفقد المخيم من الخارج ويقول: لا يجب أن نستخف بالأمر، فمسألة أن يختفي خمسة عشر عالماً بغتة يعني أن الأمر ليس سهلاً أبداً.

في هذه اللحظات خرج اللواء فهد من الخيمة الرئيسية بعد أن تفقد المخيم المكون من أربع خيام، واحدة للرجال وأخرى للنساء، وثالثة للاجتماعات مجهزة بالكامل وكأنها مكتب مصغر على أعلى مستوى، فيما كان الرابعة عبارة عن مطبخ مجهز بكل ما سيحتاجون إليه وإلى مسافة سبعة أيام، فضلاً عن دورتي مياه خارجية..

باختصار كان المخيم فاخرا بالفعل، وكان يطل على بعد ثلاثمئة من منطقة الاختفاءات تلك، ما دعا فهد إلى أن يستل مسدسا ليزريا مطورا بحجم كف اليد يكفي لاختراق أشد الدروع صلابة، ثم قام بتوزيع أربعة

مسدسات أخرى إلى أعضاء الفريق، طالباً منهم عدم استخدامها إلا بالحالات القصوى ثم أردفها بتوزيع أربعة مناظير ليلية مطورة.

جدي كيف سيكون بداية العمل: قالها فارس موجها حديثه إلى فهد الذي حك ذقنه قليلا قبل أن يجيب: سننقسم إلى أربع مجموعات مارينا ونور يبقيان بالمخيم بالقرب من أجهزتهن، فيما سأتجه أنا خلف تلك الكثبان الرملية الغربية، وهشام يتجه إلى الشرقية، أما أنت فعليك بالمنطقة الجنوبية من موقع الاختفاءات، لنلتقي بعد ساعة من الآن في شمال ذلك المرتفع الرملي.

وقبل أن ينطلقوا صاحت بهم مارينا: أرجو أن تتوخوا الحذر، فحسب أجهزتي تتميز هذه المناطق بهشاشة الأرضية، وقد تحوي رمالاً متحركة[٨]، وعند بداية الغوص بالرمال المتحركة لا تحاولوا الحركة مطلقا..

---

(٨) الرمال المتحركة أو الرمل السوّاخ (quicksand) هي خليط من الرمل والماء، التي تظهر صلبة ولكنها تتحول إلى متحركة وغير ثابتة عند تعرضها لأي تأثير، والرمل العادي تتراكم حبيباته مكونة كتلة صماء، في وجود نحو من ٢٥ إلى ٣٠% من الفراغات بين الحبيبات محتوية على الماء أو الهواء، ولأنَّ كثيراً من حبيبات الرمل طويلة ومنبعجة وليست مستديرة، فإن التراكم غير المحكم للحبيبات يؤدي إلى وجود فراغات من ٣٠ إلى ٧٠% في كتلة الرمل، وتنهار الرمال أو تكون متحركة متى تعرضت لقوى

هشام: وماذا نفعل حينئذ..؟

جاوبته نور هذه المرة وهي تفتح حقيبتها قائلة: عليكم بنداء الاستغاثة دون أن تتحركوا نهائياً.. قالتها وسلمت لأعضاء الفريق ثلاثة أجهزة صغيرة متصلة بجهاز متوسط الحجم متصل بأحد أجهزة الحاسب.

فهد: وكيف سيحدد موقعنا يا نور ؟

– انه ليس فقط جهاز استغاثة، بل يرصد موقعكم ويحدد إحداثياته عبر الأقمار الصناعية.

هشام: لا نتحرك إلى متى يا نور؟

هذه المرة جاوبه فارس قائلاً:

---

خارجية مثل التحميل عليها، أو مرور مركبات ثقيلة، أو اهتزازات أو ارتفاع في منسوب المياه الجوفية، حيث يؤدي ذلك إلى انهيار قوي الاحتكاك بين الحبيبات بالكامل، وتظهر الرمال المتحركة في الأماكن التي تحتوي على ينابيع طبيعية، أو عند أودية الأنهار المتدفقة من أعالي الجبال على هيئة أجسام مخروطية الشكل مكونة من حصى ورمال، وحول حافتي الأنهار بعد الفيضانات أو على الشواطئ عند حدوث مد منخفض، في هذه الحالات تفكك الحبيبات يكون بسبب ارتفاع المياه لأعلى خلال الحبيبات، وتظهر الرمال المتحركة أيضا في الصحراء، ولكنها نادرة جدا، وتحدث في الكثبان الرملية بالقرب من أماكن انطلاق الريح.

أفضل شيء أن تنام على ظهرك وتحاول أن تطفو.. في أغلب الأحيان الرمال المتحركة لن تكون أعمق من مستوى الركبة، وإن كانت أعمق محاولة الخروج ستكون أصعب..

صمت قليلا ليبتلع أنفاسه قبل أن يضيف: في هذه الحالة يجب أن تتحرك ببطء مع محاولة فرد ذراعيك والميل إلى الأمام حتى تخلص نفسك من الرمال وتستطيع أن تطفو على السطح وتصل إلى طرف الرمال المتحركة لتخرج منها(٩).

– هل سأفعل كل ذلك...؟

ابتسم فارس بسخرية قائلاً: لا عليك يا خال فقط اعتبر نفسك على شواطئ ميامي وسنصلك برسم الخدمة.

التفت إليه هشام غاضبا إلا أن فهد رفع يديه إلى الأعلى صائحا: فلننطلق على بركة الله...قالها وهو يتجه فعلا إلى تلك الجهة الغربية من موقع الحدث بينما انطلق فارس وهشام كلا في جهته.

---

(٩) حقيقة علمية.

وعلى الجهة المقابلة وخلال نصف ساعة عكفت مارينا على أجهزة الرصد والمسح الأرضي تساندها نور التي أخذت تتابع بمنتهى الدقة مسار أبطالنا الثلاثة عبر الأقمار الصناعية، وبدت الأمور على خير ما يرام ما جعل نور تلتفت إلى مارينا قائلة: هل تعتقدين أن تتضح الصورة اليوم أم أننا سنمكث هنا أياما طوالاً..؟

– أعتقد أن الأمور لن تطول، فكما هو واضح المنطقة صغيرة ومحصورة، وأجهزتنا تكاد ترصد أصغر الحشرات الموجودة هنا..

لم تكد تنهي عبارتها حتى ارتفع حاجبا مارينا بينما دب القلق بغتة بقلب نور التي هجمت على أحد أجهزة الرصد وهي تشير إلى مارينا قائلة: ما معنى هذا...؟

مارينا بقلق مماثل: أعتقد أن التشويش نتيجة خطأ فضائي بالاتصال وليس..

قاطعتها نور بصلافة: كيف...؟ الاشارة كانت بمنتهاها منذ دقائق...ماذا يحدث يا إلهي.. قالتها وهي تستند إلى ركبتيها على الأرض الرملية وهي تتابع أجهزة الرصد التي بدأت تتعثر وتطلق

تشويشاً حول مواقع أبطالنا الثلاثة مؤذنة بابتداء المهمة.. المهمة الحقيقية.

******

## رمال الموت ..

لم يكد فهد يتوقف قليلاً أمام تلك المنطقة الجرداء والمكشوفة من الرمال حتى دب القلق بكيانه، وهو ذلك العسكري الذي يستشعر الخطر أيما حل، ما حدا به إلى محاولة الاتصال بفارس إلا أن اتصاله دون جدوى، فكأنه فقد الاتصال فجأة مع أعضاء فريقه ما حدا به إلى عكس جهة سيره والاتجاه بخطى سريعة إلى الجهة الشمالية التي حددها مسبقا لفارس وهشام ليلتقوا بها..

ولكن هيهات هيهات... فيبدو أن الأمر يفوق قدرات الجميع هذه المرة..

ففي هذه اللحظات بالذات أحس فارس بخطر حقيقي يحيط به، لم يكن أمامه إلا السراب والرمال فقط، إلا أن حسه المتطور وإتقانه لرياضة الكونغ فو واليوجا جعلا منه أفضل من عشرات الأجهزة المتقدمة، لم يستشعر فارس ذلك الخطر حتى أعطى أمرا لعضلات ساقيه لتنطلق بسرعة غير طبيعية وخصوصاً فوق الرمال إلى وجهتهم الشمالية للالتقاء بجده فهد وهشام إلا أنه وخلال جريه شاهد منظرا لا ينسى..

ماااذا: صاح الفريق سالم وهو يستمع إلى قائد ذلك المعسكر المخصص لحماية أعضاء فريق اللواء فهد وهو يقول: انقطاع الإرسال..كيف...؟وماذا عن قوات المساندة...؟

– لقد انطلقوا يا سيدي بمجرد انقطاع اتصالنا بالأقمار الفضائية إلى موقع الفريق، ولكنك تعلم طبيعة الأرض الرملية وان الأمر سيستغرق بضعا من الدقائق وسنوافيك بكل ما يستجد..

– لحظة بلحظة تابعوا ما يحدث وطوقوا موقع الفريق... لا أريد أن نخسر أياً منهم...هل تفهمون...؟

– عُلم سيدي وسيُنفذ..

قالها لينهي اتصاله مع ضابط اتصال المعسكر والمسؤول عنه، وهو يضرب أخماسا في أسداس من جراء ما يحدث..

ثم رفع سماعة الهاتف قائلاً: اطلب حضور اللواء سعد فوراً. جاوبه الصوت الآخر من السماعة: أمرك سيدي، واللواء سعد بانتظارك منذ عشر دقائق بالخارج.

– دعه يتفضل فوراً.

وما إن استقر اللواء سعد على المقعد المقابل لمكتب الفريق سالم حتى تفاجأ بردة فعله التي لم يعتد أن يراها بهذا القدر من التوتر والقلق..

– ما الأمر سيدي..؟

– إنها القضية ذاتها...

– هل من جديد...؟

– الاتصالات الفضائية تقطع مجدداً...

– وماذا عن الفريق وقواتنا المتمركزة هنالك...؟

– على ما يرام حتى الآن، إلا أن هناك موجات عالية من التشويش تقتحم أجهزتهم، وتعزلهم عن أعضاء الفريق.

حسناً، وهل أمرتهم بالتوجه إليهم لتفقدهم..؟

– بالتأكيد، وهم الآن بالطريق إلى الفريق، لم يكد يتمم تلك العبارة حتى باغته رنين الهاتف وبمجرد أن رفعه حتى أحمرت وجنتاه وارتفع حاجباه حتى كادا يلتصقان بمقدمة رأسه. لدرجة أن اللواء سعد طاله من التوتر ما طاله ليفز من مقعده وكأن عقرباً لدغته وهو يسأل الفريق سالم عما حدث...

لم يجبه الفريق سالم وظل صامتا لبضع دقائق قبل أن يقول:

اختفى..

– اللواء سعد بمزيد من القلق: من سيدي..؟؟؟

– الجميع..

بدا اللواء سعد وهو يستقبل الجواب كطالب بليد وهو يقول: أي جميع فيهم...؟

– رد عليه الفريق سالم وقد بدا يهدأ قليلاً: الجميع يا سعد... الجميع

قالها وهو يرفع سماعة الهاتف ويطلب رقماً خاصاً... خاصاً جداً.

***

لم يهدأ قلبا نور ومارينا وهما خبيرتا الجيولوجيا والاتصال الفضائي ويعلمان كامل العلم أن تشويشاً بهذا المستوى لم يكن وليداً للمصادفة، بل هو أمر مصطنع ويقف خلفه عدو مجهول يهدف إلى شل أطراف الفريق لغاية ما..

كانت كل الاحتمالات السلبية تدور بعقليهما لدرجة أن نور امتعض وجهها وتحول إلى اللون الأصفر وهي تسترجع ذكريات فقدانها لزوجها المقدم سامي، ما أصابها بنوبة عصبية وهي تصرخ وتضرب وجهها بكفيها قائلة: ليس فارس هذه المرة.. ليس.. وقبل أن تكمل كلمتها قاطعتها صرخة رعب هائلة انطلقت من حنجرة مارينا.. وقبل أن تكمل نور استدارتها كان كل شيء قد انتهى.. انتهى تماما...

لم يستطع فارس أن يخفي دهشته وهو يشاهد طوفاناً رملياً داكن اللون على غير العادة يتجاوز العشرة أمتار علواً وقرابة الخمسين متراً

عرضاً وهو ينقض عليه وأيقن فارس أنه الموت لا محالة فلم يلبث إلا أن تلا الشهادتين ثم قال بيدي لا بيد عمرو وهو يقفز قفزة جاوزت الستة أمتار ارتفاعاً ومثلها طولياً وشريط ذكرياته يمر كلمح البصر منذ أن حطت أقدامه وهو طفل على أراضي الصين إلى أن شب وغدا يافعاً إلا أن تلك العاصفة لم تمهله لاستكمال مسيرة حياته المفعمة بالأحداث حيث لم تستمر أربع ثوانٍ قبل أن تبتلعه في قلبها.. مؤذنة بنهاية أحد أهم فصول قضية فريق اللواء فهد فوق سطح الأرض.

***

– هل تعني ما تقول سيدي ؟ قالها اللواء سعد وهو يقف مذهولاً أمام الفريق سالم بعد أن أخبره باختفاء جميع أعضاء الفريق إضافة إلى كل القوة المتمركز بقربهم..

تطلع الفريق سالم مجدداً للواء سعد وكأنه يراه للمرة الأولى وقال: تصور يا سعد: يختفي الجميع وتقطع كل وسائل المراقبة مرة واحدة دون أن نملك حولاً ولا قوة..!

وماذا سنفعل سيدي...؟

– لقد أبلغت القيادة العليا وهم الآن في طور تشكيل فريق علمي دولي تترأسه المملكة العربية السعودية وأعضاؤه الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين واليابان وفرنسا، ومقره الرياض..

– ومتى سيصل الفريق الدولي...؟

أعتقد في غضون ٢٤ ساعة.. فالأمر الآن أصبح بالفعل دولياً ولا نستطيع إلا أن نقود هذا الفريق لإكمال المشوار الذي بدأناه.

حرك اللواء سعد منظاره الطبي قبل أن يقول: وما سر تغير وجهة نظرك سيدي بالنسبة للفريق الدولي..؟

– ماذا تقصد يا سعد..؟

– أعني أن سياستنا لا تحتمل تدخل الغير في شؤوننا.

– ومن قال لك إن الغير سيتدخل في شؤوننا الداخلية...؟

– تردد سعد قبل أن يجيب: انه الفريق الدولي..

قاطعه الفريق سالم وهو يقول: أعتقد أنني بينت إن كان ذلك الفريق الدولي لا ينتمي لدولة معينة كأمريكا مثلا أو روسيا فقط.. بل هو مزيج دولي نحن من طالب بتشكيله خصوصاً أن هنالك آلاف الاتصالات على مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية [١٠] من وكالة الفضاء الأوروبية [١١] ووكالة ناسا الأمريكية تطلب تفاصيل ما يحدث

(١٠) مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية: مؤسسة حكومية علمية لها شخصيتها الاعتبارية المستقلة وملحقة إدارياً برئيس مجلس الوزراء ومقرها الرئيس مدينة الرياض. تقوم مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بدعم وتشجيع البحث العلمي للأغراض التطبيقية، وتنسيق نشاطات مؤسسات ومراكز البحوث العلمية في هذا المجال بما يتناسب مع متطلبات التنمية في المملكة، والتعاون مع الأجهزة المختصة لتحديد الأولويات والسياسات الوطنية في مجال العلوم والتقنية من أجل بناء قاعدة علمية تقنية لخدمة التنمية في المجالات الزراعية والصناعية والتعدينية وغيرها، والعمل على تطوير الكفايات العلمية الوطنية واستقطاب الكفايات العالية القادرة لتعمل بالمدينة في تطوير وتطويع التقنية الحديثة لخدمة التنمية في المملكة، وتشتمل هذه المدينة على متطلبات البحث العلمي كالمختبرات ووسائل الاتصالات ومصادر المعلومات.

(١١) **وكالة الفضاء الأوروبية** (European Space Agency) هي وكالة تطور برامج التعاون الفضائي بين أمم أوروبا الغربية. وقد أنشئت في ٣٠ مايو ١٩٧٥ باندماج منظمة تطوير إطلاق الصواريخ الأوروبية ومنظمة أبحاث الفضاء الأوروبية التي أنشئت عام ١٩٦٢. تتمتع بعضوية المنظمة كل من النمسا وبلجيكا والدنمارك وفنلندا وفرنسا وألمانيا وأيرلندا وإيطاليا وهولندا، والنرويج وإسبانيا والسويد وسويسرا والمملكة المتحدة. أما كندا وفنلندا فهما عضوان مشاركان. وتجمع الوكالة بين أجزاء من برامج الفضاء للدول الأعضاء بها. ولها مجلس يتكون من ممثلي الدول الأعضاء. وفيها مدير عام يمثل مصالح الوكالة نفسها. ويجب أن يوافق المجلس على جميع برامج الوكالة التي مقرها باريس في فرنسا.

لدينا خصوصاً بعد موجات التشويش التي حدثت للمرة الثالثة لفرقنا الاستكشافية.

– وما علاقتهم سيدي بذلك؟

حدق الفريق سالم باللواء سعد ورمقه بنظرة غاضبة قبل أن يقول: ماذا حل بك أيضا أنت...؟ هل ستقضي اليوم في التحقيق معي...؟

ارتبك اللواء سعد وتعدل في وقفته وهو يجيب سريعا: عفوا سيدي..ولكني مازلت تحت تأثير هذه الصدمة...

ربت الفريق سالم على كتف اللواء سعد بهدوء وهو يقول: لا عليك يا صديقي..يجب أن نتمالك أعصابنا أكثر... ما يجري هذه الأيام ببلادي لا يصدق ولا يقبله عقل أو منطق.

تنفس اللواء سعد الصعداء وهو يستلقي على أقرب كرسي لديه فيما بدا عقله يسبح بعيداً... بعيداً جداً...

******

# المفاجأة ..

لم يخطر بخُلد هشام بعد أن اقتلعته تلك العاصفة الرملية وهوت به إلى أبعاد سحيقة تحت الأرض أن يقابل يوماً من الأيام بقية عائلته...

إلا أنه استطاع تمييز أصوات نور ومارينا بالقرب منه ولكن أين...لا يدري...

كان هشام يسترق السمع لتلك الأصوات وهو يتفقد تلك الحجرة الفارغة تماماً من أي شيء سوى سرير أبيض يرقد عليه...لا فتحات تهوية ولا نوافذ ولا أي معالم أخرى ولا حتى أبواب!..وعلى الرغم من وهنه وإجهاده صرخ بأعلى صوته منادياً أخته نور إلا أنه وقبل أن يكمل صياحه اسفهل وجهه وهو يرى نور ومارينا تقبلان من أحد الجدران التي انفتحت فجأة عن بكرة أبيها ما جعل أساريره تتهلل وهو يقول:

مرحى يا نور الحمد لله على سلامتك ومارينا..اين أبي وفارس..؟

تبسمت مارينا بخبث بينما توجهت نور إليه وقالت: ماذا حل بك يا أخي...؟ فيما انشغلت مارينا بتفقد أحد الأجهزة الصغيرة بقبضتها ما

جعل هشام يستهجن تصرفها إلا انه أكمل: ماذا حل بنا...؟ وكيف أتيتما إليّ بهذا الشكل!؟

نور: لقد ابتلعتنا عاصفة رملية هوجاء وكادت تقتلنا.. ولكن أخبرني أنت كيف جئت إلى هنا...؟

– ما حدث لك نفسه... فيضان رملي لا يوصف انهمر علي لدرجة أنني لم استطع أن أتلو الشهادة... ثم أحسست انه يجرفني لداخل الأرض جرفاً... إلا أن الغريب أنني لم أتألم فقط أحس بإجهاد بدني وذهني وكأني انتقلت إلى بعد آخر..

لم يكد هشام ينهي كلمته حتى ومضت عينا نور بطريقة مخيفة لم يعتدها هشام الذي بدا يصفو ذهنه فجأة وهو يقول...: من أنت يا هذا... لستِ أختي نور...؟؟؟

انطلقت ضحكة ساخرة من شفتي مارينا هذه المرة وهي تجيب: وهل تعتقد أيها المغفل أن أختك ستكون لها معاملة أرقى منك هنا؟

بهت هشام من هذا الرد القاسي.. وأيقن أنه أمام فتاتين لا يمتان بصلة له، ما دعاه إلى أن يحاول أن ينهض ليغادر سريره إلا أنه

وللمرة الأولى يكتشف أنه مقيد القدمين بطريقة احترافية تسمح له حرية الحركة على السرير إلا أنها تمنعه من النهوض..

حاول مراراً التملص من قيوده إلا أن نور إجابته هذه المرة بصوت قوي وعميق: لا تحاول يا هذا.. إنها البداية فقط.. ثم انطلقت نحو ذلك المدخل الخفي وخلفها مارينا إلا أنه استوقفها قائلاً: أرجوك... ماذا حل ببقية عائلتي...؟

التفتت إليه نور وقالت بطريقة ماكرة: **لا تتسرع يا صغيري... ستتضح الأمور لك لاحقا... قالتها وهي تعبر ذلك الجزء الذي هوى خلفها مخلفة وراءها سيلاً من التساؤلات كادت تخترق رأس هشام وهو يحاول أن يربط الأمور... دون جدوى.**

***

**إنهم بالفعل مشابهون لنا وهذا أهم ما في الأمر...**

**قالها ذلك المخلوق الكوني بشري الشكل** وهو يرد على فتاتين أمامه بدتا نسخة مصورة من نور ومارينا.. لدرجة أن أصواتهما مشابهة أيضاً لهن...

نور الشبيهه: بالفعل سيدي.. ولكن ماذا عن العقول وطريقة التفكير...؟

تردد ذلك المخلوق الكوني الشبيه باللواء فهد وهو يقول: ما زلنا حتى الآن ندرس أطوار تلك المخلوقات البشرية ونحاول أن نلخص طرق حياتهم وكيفية تأقلمنا على أجوائهم الأرضية..

لم يتمم عبارته حتى تدخل ذلك المخلوق المشابه لفارس وهو يقول: أعتقد من أبحاثنا الماضية أننا نتشابه بكل شيء تقريبا.. وأنا بالفعل متشوق للقاء شبيهي البشري، فلقد سمعت أنه يمتلك مهارات غير معهودة لبني جنسهم.

رفع شبيه فهد يده بامتعاض وهو يقول لشبيه فارس: لا تتصرف من تلقاء نفسك..أنت تعلم أننا في مهمة رسمية يتوقف عليها مصير كوكب الأرض، ولن نسمح بالخطأ أو التهاون ثم ومضت عيناه هذه المرة بوميض مخيف لا يمت للبشر بأي صلة وهو يضيف: مطلقاً.

أين نحن يا فارس...قالها اللواء فهد بصوت يملؤه التعب والإرهاق وهو يشير إلى ذلك المخلوق المشابه لفارس والذي تمثل أمامه قائلا: نحن في كوكب الأضداد يا صديقي...

لم يميز فهد أنه يتحدث أمام (شبيه فارس) والذي أكمل: لا يهمك بأي الكواكب نحن ولكن عليك أن تجهز لنا تقريراً متكاملاً عن أهم ما توصلتم إليه بقضيتكم التي كنتم في طور دراستها قبل أن نحضركم...

– هل تمزح يا فارس...؟

لست فارسك أيها المسن..إنما أنا من سيُحرر كوكبكم من الأشرار.

تعدلت ملامح اللواء فهد وتجاوز دهشته بطريقة احترافية وهو يقول: أعلم أنك لست بفارس، فحفيدي ليس فتى أخرق مثلك.. لكن أين بقية أفراد أسرتي يا هذا..

– تبسم (شبيه فارس) وهو يجيب: لا عليك.. إنني هنا لإرغامك على..

قاطعه فهد وهو يقول: ترغمني على ماذا أيها الوضيع.. هل تعتقد أنك بهذه الطريقة ستجبرني على.. وقبل أن يتم عبارته انطلقت قبضة شبيه فارس لتحطم إحدى أسنانه وتلقيها على بعد ثلاثة أمتار أرضاً وهو يقول: لدي صلاحيات لقتلك أيها المسن إذا لم تتجاوب معي...

وصمت برهة قبل أن يقول:

إلى أي مدى وصلتم في سير قضيتكم اللعينة..؟

انتفض فهد والدماء تسيل من شفتيه ثم أخذ يدرس ذلك الشاب المنتصب أمامه...فهو يعلم من خلال تدريبه لفارس إلى أي مدى وصلت قوته، ومن خلال تلك اللكمة التي تلقاها استطاع أن يصنف قوة هذا الشاب ويضعه في الخانة نفسها مع حفيده فارس..

كانت الدهشة تملأ دماغه..ما سر ذلك الشبه وتلك القوه المشابهة لحفيده.. من هؤلاء الأشخاص ومن يقف خلفهم..

انقطعت أفكار فهد على لكمة أخرى أطارت سنه الآخر إلا أنه انتصب قائماً هذه المرة وقال: أعتقد أنك مازلت يافعا وجبانا في الوقت نفسه..

تبسم (شبيه فارس) بخبث وهو يقول.. حسناً.. سأثبت لك أيها الأرضي الحقير ما نتيجة عبارتك هذه؟..

كان فهد يدرك أنه ميت لا محال أن أكمل ذلك الشاب هجماته عليه إلا انه كعسكري سابق لن يرضخ لأي كان أن يهدر كرامته أو يقلل منها حتى وإن كان ذلك على حساب عمره.. ما دعاه إلى أن يتصرف بطريقة لا تلائم سنه مطلقا لدرجة أنها أدهشت ذلك الشاب قبل أن تدهش شبيه فهد الذي اقتحم الحجرة قبل أن ينقض فهد الذي غدا كشاب يافع على (شبيه فارس) هذه المرة موجهاً له لكمة أودع فيها كل قوته.. وعنفوانه.. وعزته .

تلقى (شبيه فارس) تلك اللكمة على قبضته قبل أن يرفع يمناه بطريقة خطرة موجهاً أصابعه إلى عنق فهد ما دعا شبيه فهد إلى أن يصيح بصوت عالٍ: كفاك يا ف ١ ... هذا أمر.

كان الأمر متأخراً وكانت راحة ذلك الشاب قد انطلقت وبمنتهى سرعتها إلى عنق فهد ولم يكن هناك أمل بإيقافها مطلقا...إلا أنها مالت جانباً بطريقة مدهشة لتضرب في ذلك السرير الطبي وتقسمه نصفين متساويين وفهد ينظر بدهشة إلى ذلك المسن الآخر الذي كان نسخة لا تكاد تصدق له وهو يتجه إلى( شبيه فارس) ويصفعه بكل قوة قائلاً: ألم أخبرك أن تبقي عواطفك جانبا وأنت تعمل..هيا انصرف حالاً ولا تعد قبل أن أطلبك..

غدا شبيه فارس كطفل صغير وهو يخفض نظره ويقول: عُلم سيدي ثم يتجه خارجا تاركا المجال أمام شخصين قد لا يتكرر وجودهما مطلقاً.. أمام الفهدين.

***

كان فارس على الرغم من ذلك الألم الخفيف الذي أحس به وهو ينتقل داخل تلك العاصفة الرملية التي غدت كمارد من الطوفان وهي تنقض عليه وتنتزعه انتزاعا داخلها يفكر ببقية فريقه وماذا حل بهم.

كان عقل فارس المدرب يعلم تمام العلم وبمجرد أن بدأت الرمال تجذبه للأسفل إلى أعماق سحيقة أن ما يحدث يستحيل أن يكون أمراً طبيعياً، وإنهم لم يقدموا على هذه المهمة إلا بسبب أن هناك قوى خارجية تلقي بظلالها خلف ما يجري من أحداث غير طبيعية...

أحس فارس أن ما يجري هو أمر مصطنع ومدروس بعناية فائقة لدرجة أنه بدأ يخمن وهو الذي مازال داخل دوامة الرمال أنه سيلاقي حتماً الفَعَله...

لذا حاول قدر الإمكان أن يرخي جسده لتوفير ما يحتاج إليه من طاقه خلال المرحلة المقبلة، وهي المرحلة الحاسمة في الصراع...

لم يخب ظن فارس ولم ينتظر كثيراً داخل تلك الدوامة الرملية، إذ سرعان ما استقر داخل حجرة مستديرة مفرغة من كل شيء عدا كرسي متوسط الحجم، يقف خلفه آخر شخص كان يتوقع فارس أن يراه في حياته...

***

كانت نور ومارينا تقاومان شبه غيبوبة كانتا ستقعان بها أثناء انتقالهما المفاجئ إلى باطن الأرض...

مر شريط ذكرياتهما كفيلم سينمائي إلى أن استقر بهما المقام ولكن هذه المرة ليس كبقية الفريق داخل غرف مفرغة.. بل كان استقرارهما

هذه المرة وسط حديقة لم يقع نظر نور ومارينا على أجمل منها قط في حياتيهما...

كانت حديقة مشابهة للحدائق الاستوائية الإفريقية في كثافة أشجارها وغرابة مناظرها ومشابهة للطراز الغربي في كيفية تنسيقها وروعة ألوانها...

كانت مزيجاً أوروبياً إفريقياً عربياً قد لا يتكرر مطلقاً على سطح الأرض أن ترى حديقة بهذا التماذج...

الله... ما أجملها من حديقة يا خالة نور ؟ هل نحن في الجنة...!؟

– بالفعل يا مارينا... لم أر في حياتي قط أجمل منها...أين نحن بالضبط...؟؟

جاوبها هذه المرة صوت، ولكنه غير بشري تماما..صوت هو أقرب إلى زمجرة وحوش الغابات منه للحيوان..

لم تضع نور الوقت لتلتفت خلفها لمعرفة مصدر الصوت بل التقطت يد مارينا وصاحت بها: علينا الهرب يا مارينا.. قبل أن يطلقا سيقانهن للرياح باتجاه إحدى أشجار البلوط الضخمة ليختبئا خلفها وهما ينظران باتجاه مصدر الصوت لترتسم معالم الخوف والهلع على محياهما من جراء ما رأياه.

***

أبي... قالها فارس وعيناه تلتمعان من جراء الدموع وهو يتأمل والده البطل المقدم سامي منتصبا أمامه بشحمه ولحمه فارداً ذراعيه له ليحتضنه..

ولأول مرة في حياة فارس تختلط عليه الأمور... على الرغم من حسه المرهف وحدسه المتطور إلا أن الأمر كان هذه المرة أقوى منه...

لم يجد فارس بداً من أن يندفع تجاه أبيه الذي لم يكد يصل إليه حتى اختفى...اختفى تماماً من موقعه لينتقل الى موقع آخر بأقصى الحجرة وهو يسمع ضحكة تتردد في أقاصي المكان بشكل هستيري ما جعل فارس فجأة يعود إلى وعيه ويجلس القرفصاء في إحدى الزوايا وهو يبدأ بممارسة رياضة اليوجا التي يبرع بها ليتخلص من تلك التأثيرات الجنونية التي تحاول أن تسيطر على كيانه وتردي به إلى الجنون...

كانت الضحكات الهستيرية تتزايد ووالد فارس يتنقل بكل أجزاء الحجرة وفارس مازال جالسا بذلك الركن وبدا كتمثال حجري وهو بالفعل يتنصل بعقله من ذلك الوضع المرعب الذي زُج به فيه...

كانت تصرفات فارس تلك أثارت فريق المتابعة الذي تم تكليفه بقياس ردة فعله ودراسة سرعة استجابته للمؤثرات الخارجية..

وكان واضحاً من أولئك القوم أنهم يتقدمون مئات السنين على بني البشر على الرغم من تكويناتهم المشابهة تماما لهم...

– مذهل: قالها أحد علماء أولئك القوم وهو يتابع من خلال أجهزة الرصد لديه قوة استجابة فارس لدرجة أنه قال: أشك أنه كأولئك البشريين الذين درسناهم سابقاً... أنه مختلف كلياً من خلال نشاطات جسده وعقله المتطور..!

رد عليه عالم آخر: إنه بالفعل بشري مميز... هل ترى كيف قام عقله بالانسلاخ تماماً عن محيطه.. إنني أكاد أرى شحنات غريبة تحيط به وتعزله عقلياً عن وسطه...

كان العلماء يتباحثون بأمر فارس وهو الذي قام عقله فعليا بالسباحة بعيداً... بعيداً جداً وهو يحلل كل ما رآه حتى تلك اللحظات التي زجّت به بهذا المكان تحت سطح الأرض...

******

# الضحية الأولى..

ماذا...؟ صاح اللواء فهد وهو يجابه شبيهه غير البشري وهو يضيف: هل أنتم من سكان الأرض...؟

ماذا تقصد يا عزيزنا فهد..؟

– هل أنتم من الجن...؟

– أطلق شبيهه ضحكة بدت عالية وهو يقول: لا يا صديقي بل نحن قوم آخرون..

– قوم آخرون...؟

– أرجو أن تشرح لي الأمور فلم يعد بعقلي أي قدرة على تجرع المزيد من المفاجآت...؟

– لا عليك.. الآن لسنا بصدد التعريف بنا..بل نحن بمهمة رسمية..

– وما علاقتنا يا هذا بمهمتكم تلك...؟ وأين بقية أعضاء فريقي والعلماء المفقودين..؟

– بالحفظ والصون يا فهد أما العلماء البشريين فقضوا نحبهم ولم يتحملوا تجاربنا.. وأرجو ألا تسألني مجددا عن أي أمر... فأعتقد أنك بموقع لا يسمح لك بذلك.

– تبدلت ملامح فهد وهو يقول بشكل غاضب: لن أتجاوب معكم مطلقاً ما لم تروني بقية عائلتي.

– بالفعل أنت عنيد كما أشاروا...

– من هم...؟

– قادتي.. قالها وهو يدير ظهره لفهد ويتجه خطوتين للأمام ثم يرفع يديه بطريقة غريبة وهو يشير إلى فهد إشارة غامضة...غامضة تماماً.

***

كادت نور ومارينا تفقدان عقليهما من هول ما رأيا يتقدم إليهما نحو شجرة البلوط العتيقة تلك...كان كائنا غريبا يتجاوز ارتفاعه ستة أمتار جامعا الصفات ما بين الأفاعي والثيران... كان رأسه رأس أفعى

وجسده جسد ثور..وكانت عيناه تقدحان بالشرر وهو يتقدم إلى ضحيتيه بطريقة واثقة فيما بدأ بلعومه بالتحرك بطريقة جعلت الدماء تقف في عروق نور ومارينا إلا أن مارينا تجاوزت هلعها وشدت هذه المرة نور من ذراعها وهي تجري عكس اتجاه ذلك الوحش الذي بدا واثقاً وهو يعدل من اتجاهه ويسير بخطى هادئة موقناً بالتهامه لهما طال الأمد أو قصر...

كان أهم ما يشغل بال مارينا ألا تفقد خالتها نور الوعي وتكون الفريسة الأولى لذلك الوحش الأسطوري...

وفي الوقت ذاته كانت تستكشف المكان بشكل أكبر وعيناها ترصدان كل ما تمر عليه إلا أنها تعرقلت فجأة بأحد الأغصان ما جعلها تسقط على وجهها بينما استمرت نور بالركض وهي ذابلة العينين كالمنومة مغناطيسياً..

لم يأل الوحش جهداً ليقترب من موقع مارينا حيث اختنق صوتها داخل حنجرتها وهي تحمي وجهها بكفيها إلا أنه استقر عند ساقيها وبدأ لعابه بالسيلان ومعدته بدأت بالتحرك بطريقة بشعة لإطلاق

إفرازات معينة تسبق عمليه الالتهام وهو ينقض برأسه الصغير جهة عنق مارينا التي استسلمت تماما... معلنة عن أولى ضحايا أعضاء فريق اللواء فهد بتلك الحديقة الملعونة.

***

تحفز عقل فهد تماماً وهو يواجه شبيهه بمزيج من القلق والفضول..

نعم.. لا تستغرب عزيزي القارئ.. فإن تجابه شخصا يشابهك بالتكوين قد يُثير شغفك... إما أن تجابه شخصا يقاسمك التكوين والتفكير، فهذا هو الأمر الذي لا يصدق.. وهذا ما حدث بالفعل..

فمن خلال محادثة قائد فريقنا فهد بذلك المخلوق الغريب بدا يتكون لديه انطباع بالغ الخطورة، وهو أن ذلك الشبيه هو أقرب للقرين منه للشبيه... فهو نسخة شبه مكررة لفهد.. في الشكل الخارجي، وطريقة

التفكير، والحكمة التي ورثها عن والده، وكذلك الأدهى والأمر انه يشابهه في الصوت..!!!

كان بالفعل فهد أمام اختبار غير معهود.. اختبار كوني..

اختبار أن ترى نسختك بهذا العالم دون أن يغير هذا من طريقة تفكيرك أو يؤثر في سرعة استجابتك...

اختمرت المشاعر بداخل قلب وعقل فهد وهو يسأل ذلك الشبيه: وماذا تريدون منا بالضبط يا سيدي...؟

تأمله ذلك الشبيه وعقب ذراعيه خلف ظهره كما يفعل فهد بالضبط عندما يشرع بعملية تفكير عميق.. ثم تنحنح وقال:

عالمك..!

انزعج فهد قليلاً لكونه اعتقد أنه لم يعِ بالضبط ما يريده ذلك الشبيه منه وكرر: ماذا قلت عفواً؟

تبسم ذلك الشبيه لأول مرة وهو يحملق في وجه فهد قائلاً: لن أخفيك الأمر يا شبيهي العزيز.. انه إذ...

قاطعه فهد هذه المرة بتوتر وهو يقول: لست شبيهك يا هذا بل أنت شبيهي....

قاطعه الشبيه هذه المرة وقد تحولت ابتسامته إلى صفراء ماكرة وهو يضيف: لن نختلف بالعبارات يا فهد.. فهذا الموضوع شكلي و..

قاطعه فهد ثائراً: ليس "شكليّ" بل هو لُبَ القضية..

– أي قضية يا هذا..؟

فهد: قضية محاولتكم استعمار الأرض ظناً أنها ملككم وأننا أشباهكم...!

تبدلت ملامح الشبيه وهو يقول بهدوء مخيف: هي بالفعل ملككم...ولكننا نعيش معكم عليها ويجب تبديل المراكز يا صديقي..

– أي مراكز تلك...؟ هل جننت..؟ ثم ما أنتم بالضبط...؟ ما طبيعة تكويناتكم الجسدية...؟ أعتقد أنكم لستم بشرا مثلنا..

– بالفعل يا هذا... لسنا بشراً.. ولا يذهب عقلك بعيداً فتعتقد أننا من الجن كما ظننت سابقاً.. نحن مخلوقات كونية عاشت تحت جوف

الأرض منذ أمد بعيد.. بعيد يا فهد لدرجة أنك لن تتخيله.. هل سمعت بتلك المخلوقات المسماة الديناصورات[١٢]...؟

– بالطبع...!

– هل تعلم السبب الحقيقي لانقراض أقوى من خطت قدماه على سطح اليابسة...؟

– أعتقد هي نيازك معينة أو انفجارات سماوية أو..

– بل نحن من ابادها بعدما أصبح لزاماً علينا السكنى عليها...؟

تفاجأ فهد من طبيعة ما يستمع إليه... فما يشير إليه ذلك الشبيه خطير بمعنى الكلمة ويهدم كل نظريات الغرب عن انقراض الديناصورات.. إلا أنه تمالك نفسه وقال..؟ ولماذا أصبحتم داخل الأرض ولستم على اليابسة كما نحن الآن...؟

---

(١٢) **الديناصور** (من الكلمة الإغريقية δεινόσαυρος، *دينوسوروس*) حيوان فقاري ساد النظام البيئي الأرضي لأكثر من ١٦٠ مليون سنة، بدءاً من العصر الثلاثي المتأخر – قبل ٢٣٠ مليون سنة – حتى نهاية العصر الطباشيري (قبل ٦٥ مليون سنة) عندما انقرضت معظم الديناصورات في حدث الانقراض الطباشيري– الثلاثي. تُعتبر أنواع الطيور الحية اليوم من الديناصورات، بوصفها منحدرة من الديناصورات الثيروبودية.
صاغ سير ريتشارد أوين مصطلح "ديناصور" في ١٨٤٢ من الجذور الإغريقية δεινός (داينوس) بمعنى: رهيب أو قوي أو مذهل، وσαῦρος (سوروس) بمعنى "عظاءة". يُستخدم المصطلح بشكلٍ غير علمي أحياناً لوصف زواحف قبل التاريخ.

– تبسم ذلك الشبيه قليلاً.. فهو يعلم طريقة تفكير فهد ويعلم بالضبط ما قد يحاول الوصول إليه من خلال أسئلته إلا أنه تجاوز ذلك وأجابه: لقد اكتشفنا للأسف أننا لا نستطيع العيش على ظهر الأرض ما لم يتم الإحلال...

– عفواً.. هل تقصد الاحتلال...؟

– تأمله مرة أخرى شبيهه قبل أن يجيب: لا يا شبيهي العزيز...بل أعني الإحلال بكل ما تعنيه الكلمة...!!!

– بدا القلق يزداد بعقل فهد وهو الذي بدأ يفهم ما يشير إليه ذلك المخلوق إلا أنه قال: هل تفسر لي الأمر أكثر..؟

– بكل تأكيد يا صديقي..قالها وهو يشير إلى جسده قائلاً: الإحلال هو أن تحل ذراتنا مكان ذراتكم على سطح الأرض...

ارتفع حاجبا فهد وهو يستمع إليه فما لبث أن قال: ولماذا نحن...؟

– سؤال ذكي... لأنكم شبيهونا في هذا الكون الشاسع... ومقاييسكم تنطبق علينا بكل دقة.. انظر إلى جسدك يا فهد... ألا ترى أنه يلائم جسدي تماماً... أقصد أن إحلال ذراتي بجسدك سيكون ناجحاً...!

بينما كل تلك المخلوقات السابقة لكم من ديناصورات إلى وحوش برية لم تكن لتلائمنا مطلقاً...

مجنون.... صاح فهد بهذه الكلمة وهو يجابه بوجهه شبيهه قائلاً: أتعتقد يا معتوه أنكم قادرون على إماتتنا وإحيائنا مرة أخرى...؟

ألا تعلم أننا من صنيع الله – عز وجل – وهو المحيي والمميت فقط...

انزعج ذلك الشبيه من فورة فهد وغضبه إلا أنه قال: لا أخالفك ما ذكرته مطلقاً... ولكن من قال إننا سنميتكم أيها المتحذلق...؟

تابع فهد صائحاً: أنت الذي ذكرت ذلك و...

قاطعه ذلك الشبيه بصوت بدا عالياً للمرة الأولى: بل أنت الغبي.. لم أعتقد أن شبيهي يمتلك هذا القدر من الحمق وأنا الذي ظننته حكيماً...

عم الصمت المكان بعد عبارته تلك إلا أنه أكمل: ومن قال إننا سنميتكم... هل نسيت أننا نتقدم عليكم آلاف السنين إن لم تكن مئات الآلاف !

لقد توصلنا إلى طريق معين نستطيع بوساطته وعن طريق إشعاعات بالغة التقدم من إحلال خلايانا بأجسادكم ونقل خلاياكم لأجسادنا هذه.. قالها وهو يشير إلى جسده ثم أكمل: ولن يصاب أي بشري منكم بأذى...؟

ذُهل فهد من غرابة ما يفهم وحاول أن يحرك رأسه يمنة ويسرة أملاً في أن يفيق من هذا الكابوس المزعج إلا أنه تمالك نفسه وأجاب: ومن سيسمح لكم بتدمير الكيان البشري...؟

– اهدأ يا شبيهي العزيز: لن ندمركم مطلقاً بل سنحاول أن نأخذ فرصتنا للعيش على سطح الأرض...

– ولماذا...؟ ها أنتم تعيشون الآن على خير وجه... لماذا تحاولون إيذاء غيركم...؟

أطلق شبيه فهد ضحكة غريبة وهو يقول: لقد حان وقت رحيلنا يا فهد... صدقني أن كل شيء مقدر علينا وعليكم.. ولا بد لكم من أن تذوقوا كأسنا نفسها، لقد عشنا تحت الأرض فترات طويلة وطورناها وجعلناها أفضل من يابستكم آلاف المرات... إلا أنكم ما زلتم

ببدائيتكم وإهمالكم.. ولم تطورا الأرض قيد أنملة عما كانت عليه منذ مئات السنين سوى ببضع البنايات التي تفخرون دوماً بتشييدها، ولم تحاولوا إصلاح بيئتها لدرجة أن غباءكم بدا يظهر تأثيره علينا، لقد بدا بعضنا بالهرم بشكل واضح، وبدأت أمراض غريبة بالبروز على بيئتنا التي طالما كانت نقية... ثم تبدلت لهجته إلى لكنة مخيفة وظهرت لمعة عجيبة بعينيه وهو يقول: نريد العدالة يا فهد.. فقط العدالة.!!!

******

# المهلة..

كان فارس قد وصل إلى قمة الاتصال العقلي – الروحي..
وأصبح كما الطائر في سما تلك الحجرة التي ملئت بظواهر فوق طبيعية تحاول استفزاز قدراته البشرية وإيهامه بوجود والده قربه...
وعند بلوغه هذه الدرجة من السمو الروحي توقفت فجأة كل تلك المؤثرات وفجأة بدا يرى بطريقة عقلية متطورة منظراً رهيباً... رهيباً جداً...
كان يرى ذلك الوحش الأسطوري ذا رأس الأفعى وجسد الثور وهو ينقض على زوجته مارينا ويلتهم جزءاً من جانب وجهها بطريقة بشعة تذرف الدمع من عين أقسى الرجال قلباً.. إلا أن فارس بدا هذه المرة أصلب من أصلب رجل..
حتى أن أعين كل المراقبين تجمدت في محاجرها وهم يرون فارس يقف منتصباً وكأن الأمر الذي حاولوا إيصاله له لا يعنيه.. وبدا واثقاً

مبتسماً وهو يقول: أرجو أن توقفوا هذه المسرحية المقززة قليلاً وتحادثوني رجلاً لرجل عن أهدافكم الدنيئة...

بمجرد انتهاء عبارته اختفت تلك الصورة الذهنية.. بل انسلت سلا من دماغه وفي الوقت ذاته فتحت نور عينيها كما لم يكن بها أي أمر، بينما اختفى ذلك التنين من أمام مارينا فجأة...

أخذت كل الحوادث السلبية تختفي فجأة من أمام أعين أبطال فريقنا وهم يزدادون ذهولاً من هذا الأمر سوى شخص واحد بدا واثقاً وهو ينتظر في ثقة أن يقابله شخص ما من أولئك المخلوقات الغريبة...

كان فارس هو الوحيد الذي امتاز عقله بقدرات غير معهودة من جراء تدريبات مع مدربه الصيني وانغ فو طيلة خمسة عشر عاماً.. ومنذ نعومة أظفاره وهو يتدرب على فنين من فنون القتال والسمو الروحي... الكونغ فو واليوجا...

أدرك فارس جيداً ومنذ بدأ يسبح في تلك الرمال مخترقاً سطح الأرض أنه متجه إلى عالم آخر... مخلوقات أخرى تفوقهم تطوراً.. وبمراحل... وبدا عقله بالعمل بطريقة أكثر من رائعة... بدأ يحلل

ويربط كل ما قابلهم منذ بداية القضية إلى أن توصل إلى أن هناك دوافع لدراسة أفكارهم وردود أفعالهم.. وأن تلك الدراسة حتماً سيقف خلفها من يسعى إلى احتلال كوكبهم... بل و..

انقطع سيل أفكار فارس بعد أن شُرع باب خفي في أقصى الحجرة ليبرز منه اللواء السابق فهد الذي اندفع بكل ما أوتي من قوة ليحتضن فارس والدموع تغرق عينيه صائحاً: الحمد لله يا بني أنك بخير.

احتضنه فارس بقوة إلا أنه استوقفه قليلا بعد أن رأى كدمة عنيفة على فكه وسنتين مفقودتين بمقدمة فكه السفلي فما كان منه إلا أن استشاط غضبا وهو يسأل جده: من فعل بك هذا يا جدي...؟

لم يجبه فهد هذه المرة بل شبيه فارس الذي برز من ذلك الباب الخفي وهو يتبسم ساخراً: أنا هو ذاك الذي عبث بأسنان جدك يا شبيهي العزيز...

احمرت شدقتا فارس وهو يشير إلى جده قائلاً: ما الذي حدث لك يا جدي...؟

ربت فهد على كتفي فارس وهو يقول: اهدأ يا فارس.. إنهم قوم يفوقوننا بآلاف المرات علمياً... وهدفهم إحلال ذرات أجسادهم بذراتنا والاستيلاء على اليابسة.. والتقط أنفاسه قليلاً قبل أن يضيف: ونقلنا إلى العيش هاهنا..

إنهم قوم ساذجون... لا يعلمون أنه ربما بعملياتهم تلك قد يضرون النظام البيئي والطبيعي وربما يخسرون أنفسهم ويبيدوننا وإياهم...

رد عليه هذه المرة شبيهه الذي برز من خلف شبيه فارس قائلاً: لا تظن السوء يا فهد... لم أخبرك متسرعاً من قبل.. قالها وهو يشير إلى شبيه فارس قائلاً: هما لك الآن يا فتى... أريد أن أتعرف على قدراتهما الجسدية جيداً قبل أن نبدأ غداً أولى عمليات الإحلال...

قالها وهو يخرج من تلك الحجرة ويبرز من خلفه ستة عمالقة عظام الأجسام، مفتولي العضلات، بمجرد دخولهم تجهّم وجه شبيه فارس وهو يقول: ألا تثق بقدراتي يا سيدي... ألا تعتقد أنني كفيل بسحقهما وحدي...؟

التفت إليه شبيه فهد قائلاً: بلى ولكن لا نريد أن نترك أي مجال للفشل ولن يتدخلوا إلا في حال فشلك..قالها واحد جدران الغرفة يغلق آلياً خلفه لتشهد تلك الحجرة أعنف قتال تم بين أعظم لاعبي كونغ فو في العالمين العلوي... والسفلي.

******

# بذرة أمل..

حطت عشرات المروحيات الحربية ومئات الدبابات المجنزرة ومثلها من الحفارات العملاقة قرب موقع اختفاء أبطالنا...وغدت تلك المنطقة من الربع الخالي تعج بنخبة من الجيش السعودي وعشرات العلماء الدوليين في مختلف المجالات العلمية الذين كان يقودهم رئيس مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية والمتجددة[١٣] وتحت متابعة الفريق سالم شخصياً إضافة إلى مئات عمال الحفر بقيادة نخبة من كبار المهندسين الجيولوجيين السعوديين..

(١٣) مدينة علمية أنشأت في ١٤٣١/٥/٣هـ لها الشخصية الاعتبارية المستقلة وتلحق إدارياً برئيس مجلس الوزراء ومقرها الرئيسي مدينة الرياض.
تهدف المدينة إلى المساهمة في التنمية المستدامة في المملكة وذلك باستخدام العلوم والبحوث والصناعات ذات الصلة بالطاقة الذرية والمتجددة في الأغراض السلمية وبما يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة في المملكة وتقوم المدينة بدعم ورعاية نشاطات البحث والتطوير العلمي وتوطين التقنية في مجالات اختصاصاتها وتحديد وتنسيق نشاطات مؤسسات ومراكز البحوث العلمية في المملكة في هذا المجال وتنظيم المؤتمرات المحلية والمشاركة في المؤتمرات الدولية وتحديد الأولويات والسياسات الوطنية في مجال الطاقة الذرية والمتجددة من أجل بناء قاعدة علمية تقنية في مجال توليد الطاقة.

كان ذلك الوفد من العلماء الدوليين قد توصل إلى نظرية مفادها أن هناك غزواً خارجياً يحيط بالأرض... خصوصاً أنهم بأجهزتهم المتقدمة رصدوا نشاطات إشعاعية بالغة التعقيد بالمنطقة.. إلا أنهم لم يستطيعوا تحديد موقعها بالضبط... ما أزعج الفريق سالم الذي أشار بيده وهو يخاطب اللواء سعد: هل تظن أن هذا الفريق الدولي سيمد لنا يد العون حقاً وسيتوصل إلى حقيقة ما يحدث...؟

– بدت نظرات الحيرة بعيني اللواء سعد إلا أنه تجاوزها قائلاً: هل تريد الحقيقة يا سيدي..؟

– بالطبع يا سعد!

– لا أعتقد ذلك...

– ماذا ؟؟!

– لا أعتقد أن هذا الفريق أو ذاك أفضل من فريق أبطالنا بقيادة فهد... كما أنني أشعر بأن فهد وفريقه بخير...

– ماذا تقول يا سعد... هل جننت؟ الفريق له الآن قرابة العشر ساعات تحت سطح الأرض... وتقول إنهم بخير...!

– ارتبك سعد في وقفته إلا أنه تغلب على ذلك الشعور، وقال: نقول بإذن الله... ولنتفاءل خيراً يا سيدي..

– بارك الله فيك.. بالفعل سنتفاءل خيراً وسنبذل قصارى جهدنا لتحرير أسرانا إن وجدوا وكشف هذا اللغز...

قالها وهو لا يعلم أن في تلك اللحظات بالضبط قد بدأ القتال بين أعظم فارسين على مر التاريخ....

***

لم يكد "شبيه فهد" يتجاوز ذلك الجدار الضخم الذي انفتح للأعلى حتى ارتفع حاجبا اللواء السابق فهد عندما لمح "شبيه فارس" يقفز قفزة عظيمة باتجاه فارس وهو يقول: مرحى أيها البشري الحقير... سأنتهي منك ثم أنال من جدك العجوز.

قالها وهو يوجه ركلة بالغة القوة باتجاه عنق فارس الذي لم يكن بموقعه ذلك!

لقد اختفى أو كاد يختفي فارس من سرعة حركته ما أربك قفزة شبيهه الذي لم يفق من دهشته حتى باغتته لطمة تعادل في قوتها مئة قبضة رجل شجاع إلا أنه تفادها وقبل أن تطيش تلك القذيفة اليدوية أكمل فارس توجيهها إلى أحد العمالقة الستة لترتطم بوجهه ليقضي نحبه فوراً بعد أن تحطم فكه بصوت مسموع وطارت ست من أسنانه بمنظر بشع وشبيه فارس يرمق المنظر بقلق متزايد...

فهو لم يقدر فارس قدره.. ويبدو أن ما لديه من معلومات عن قوة وقدرات فارس كانت ناقصة... ناقصة جداً...

كان فريق من العلماء إضافة إلى شبيه فهد يطالعون المعركة بشغف حقيقي... لم يكن ببال أحدهم أن تصل قدرة ذلك الشاب البشري إلى ما رأوه الآن...

كان فارس يصول ويجول بالحجرة فبعد أن قضى على أحد العمالقة ضرب قدميه بأحد جدرانها بصوت كاد يصم آذانهم ثم انكفأ على ظهره بطريقة بهلوانية خطرة لتشكل قدماه مروحية كهليكوبتر مصغرة متجهة إلى عملاقين آخرين لتجندلهما كالأطفال...

كان فارس يعلم أن أولئك العمالقة لن يدعوه وجده لشأنهما.. وبمجرد انتصر على شبيهه سيكون التعب بلغ به مبلغه ولن يستطيع التصدي لهم... فآثر أن يحطمهم سريعاً ليتفرغ لشبيهه الذي ظل قابعاً بأحد أركان الحجرة قبل أن يقفز بكل ما أوتي من قوة ولكن هذه المرة باتجاه فهد.. الذي كان فيما يبدو بانتظاره حيث التقط ذلك المقعد الذي وجده أمامه ليوجهه إلى رأس شبيه فارس...

ولكن هيهات هيهات...فعلى الرغم من تفوق فارس على شبيهه في بداية المعركة فلا يعني هذا ضعف شبيهه الذي لم يبتعد عن مرمى فهد، حيث استقبل تلك الضربة العنيفة على ساعده ليتفتت ذلك الكرسي لأشلاء وكأن شيئا لم يكن ليوجه قبضته مجدداً إلى فك فهد وقبل أن تمسها بسنتيمترات قليلة توقفت على راحة يد أشبه بالحديدية تعود لفارس الذي ما لبث أن وجه ركلة بقدمه اليسرى على صدغ شبيهه وقبل أن تكتمل ضربته أرفقها بأخرى بين كتفيه...

سقط شبيه فارس وسط ذهول فريق العلماء المراقب ووسط دهشة وغضب العمالقة الثلاثة المتبقين الذين ما لبثوا أن أخرج كل منهم

عصا تتأرجح منها موجات كهربائية قاتلة لينقضوا في آن واحد على فارس وفي كل عصا كان فهد يشم رائحة موت.. موت حفيده...

***

لم تصدق مارينا عينيها عندما اختفى فجأة من أمامها ذلك الوحش الأسطوري... فلم يسعها إلا أن توقفت على قدميها لتتجه إلى نور التي رأتها تستعيد وعيها شيئاً فشيئاً حتى اتضحت الرؤية كاملة لديها وعاد لها صفاء ذهنها وكان هذا واضحاً وهي تحتضن مارينا وتقول: اصمدي يا بنيتي أننا نعيش فترات وهم اصطناعي.. ويجب علينا أن نتأكد من سلامة الأجواء المحيطة بنا من أي ذبذبات دخيلة تحاول التشويش على أفكارنا..

قالتها وبادرت بإخراج حاسوب صغير ودقيق بحجم الهاتف المحمول وهي تبذل جهداً كبيراً لتذكر كوده السري فيما أجابتها مارينا: "انتظرك يا سامي"..!

لم تكد مارينا تلفظ العبارة حتى انتشت نور وانفرجت أساريرها وهي تستعيد كامل لياقتها الذهنية وتشغل حاسوبها الحراري وهي تقول:

بارك الله فيك من زوجة ابن يا مارينا...

احمرت وجنتا مارينا في خجل نتيجة الإطراء فيما علت بسمة كبيرة شفتا نور...

كان لا الزمان ولا المكان يسمح بذلك ألا أنهن النساء.

كان هشام يبذل كامل جهده وهو يحاول دراسة كل ما تقع عليه عينيه من معادن أو مواد البناء في تلك الحجرة التي أُجبر على التمدد على أحد أسرتها و كان طوال الوقت يتحسس مواد صنعه.

كان عقله العبقري يدرس بالكامل نوعية الوسط الذي وُضِع به...

اكتشف أنه بوسط بيئي غريب...

فمكونات كل ما بالحجرة تبدو طبيعية إلا أنه بالتدقيق بها اكتشف أنها مصطنعة...!

السرير الذي استلقى عليه هو بالظاهر سرير... إلا أنه ومن خلال تلمسه اكتشف أنه وعاء ضخم كوعاء العينات التي توجد بالمختبرات..

كان هشام يزداد تركيزاً ويزداد مخه بدراسة كل ما يتحسسه أو تقع عليه عيناه وهو يزداد يقيناً أنه تحت الدراسة... الدراسة المطلقة...!

***

ازدادت حدة ونشاط تلك الفرق التي جُندت لتقصي الحقائق تحت إدارة د. منير رئيس مدينة الملك عبدالله للطاقة النووية.

وازداد النقاش احتداداً عندما أكد المندوبان الصيني والروسي أن ما يحدث هو نتيجة لممارسات أمريكية استثارت مخلوقات أخرى تفوق البشريين تقدماً ورقياً، إلى أن اتخذت قرارها بالظهور على الساحة.

فيما عدَّ المندوبان الأمريكي والفرنسي أن ذلك محض افتراء، وأن الجانبين الروسي والصيني قد سيسا القضية ومالا بها عن طريقها الصحيح..

كان الجانب الياباني محايداً بينما كان رئيس الفريق السعودي يستمع بدهشة إلى ما آل إليه الحوار منادياً إلى ضبط النفس وعدم محاولة تصفية الحسابات الجانبية أثناء سير المهمة...

كان النقاش يزداد والاتهامات تزاد وطأة إلى أن قطع ذلك صوت أحد الضباط وهو يجري صوب الفريق سالم ويسلمه تقريراً جعل الفريق سالم يبتهل من السرور والدهشة معاً...

كان مفاد التقرير أنه تم العثور على قرابة العشرين عسكرياً الذين ظنوا أنهم فقدوا بالرمال.. وكان مكان العثور عليهم هو الأغرب...!

استل الفريق سالم جهاز الاستدعاء طالباً الاتصال بمركز أمن الطرق وهو يقول: صلني بالرائد عبدالعزيز فوراً..

– الرائد عبدالعزيز معك سيدي.

– ما قصة عثوركم على الجنود التابعين للاستخبارات العامة قرب جبال السروات[١٤] على بعد مئات الكيلومترات عن مواقع عملهم...!

– عفواً ومن أنت سيدي..؟

– معك الفريق سالم من المخابرات العامة... صلني فوراً بقائد الكتيبة المقدم حسام.

– علم سيدي وخلال ربع ساعة سنوافيك به..

– ربع ساعة...! لماذا ؟ أين أنتم عنهم الآن...؟

تردد الرائد عبدالعزيز قائد فرقة أمن الطرق إلا أنه استجمع شجاعته وهو يقول: يصعب علينا الاتصال فوراً بهم لأ...

قاطعه الفريق سالم مزمجراً: ماذا تقول...! هل تمتنع عن تنفيذ الأمر!

– معاذ الله سيدي، ولكن جنودكم الآن يتسلقون أحد جبال السروات ولا يستجيبون لأي نداء منا إليهم!!

---

(١٤) جبال السروات هي سلسلة جبلية تقع في الجزء الغربي للسعودية وتمتد من اليمن ثم الحجاز إلى خليج العقبة وأعلى قمة فيها هي قمة جبل النبي شعيب عليه السلام حيث يبلغ ارتفاعها ٣٦٦٦ متراً عن سطح البحر.

بُهت الفريق سالم مما سمعه من الرد وقال...

حسناً... احضروهم مخفورين أيها الرائد... أريدهم أن يصلوني في طائرة حربية خلال ساعتين من الآن...

هل علم...؟!!

– علم سيدي وسينفذ...

أنهى الفريق سالم الاتصال وهو يضرب أخماسا في أسداس

ولم يكد يقابل اللواء سعد حتى صاح به: أتعلم ماذا حدث يا سعد... أنها المصيبة بكامل جوانبها...

– طمئنا يا سيدي... ماذا عساه الأمر...؟

جنودنا الذين اختفوا مع فريق اللواء فهد...!!!

– ماذا حل بهم أيضاً...؟

لقد وجدوهم أخيراً..

تهللت أسارير سعد وهو يقول: حمدا لله و..

قاطعه الفريق سالم وهو يقول ولكن هل تعلم أين...؟

– أين سيدي..؟

يتسلقون جبال السروات على حدود اليمن يا سعد...على حدود اليمن!!!

******

## إشعاع الموت..

ابتهج قائد تلك المخلوقات شبه البشرية وهو يستمع إلى شبيه فهد عن آخر التقارير التي توصلوا إليها.. وقال بجدية:

ما آخر النتائج...؟

– سيدي... أبشرك بأن بداية الإحلال أو فلنقل التجربة تمت على خير وجه... وتم إحلال عشرين عسكرياً بشرياً بعشرين منا وتم تطابق الأجساد بنسبة تقارب ٩٠%.

– وما سلبيات الأمر...؟

– لا سلبيات... الإشعاع الذي أطلقناه على مستوى محدود أتى بثماره، وتمت العملية بكل بساطة إلا أن البشريين بعد إحلالهم بأجساد رجالنا بدأت مظاهر غريبة تظهر عليهم...

– بدا التأثر على محيا الزعيم وهو يقول: مثل ماذا...؟

– حرارة شديدة وتنميل أصاب أطرافهم إلا أننا في طور تصنيع ترياق لهم و..

– قاطعه الزعيم: ماذا تقول... ترياق لهم... هل جننت...

– كم من الوقت سنستغرق للانتهاء منه؟

– ربما نستغرق يومين أرضيين و...

– غبي...

– أرخى شبيه فهد عينيه وأخفضهما لأسفل وبدا كطفل صغير وهو يستمع إلى الزعيم الذي أكمل:

– يومان آخران قد يكلفنا حياة شعبنا بالكامل...

– أولئك البشريون لديهم فريق ضخم يعمل بالخارج لتدميرنا وأنت تحاول عمل مسحوق أو ترياق لضمان سلامة عيشهم تحت الأرض...

– صمت قليلاً ثم أكمل: هل تطمح منهم أن يتعايشوا معنا بسلام وهم بالأسفل..؟

– ثم علا صوته وهو يقول: إنهم أشرَ حقبة مرت على سطح الأرض... ولن ننتظر منهم إلا أن يجدوا طريقة لإبادتنا وسحق أطفالنا لاحقاً...

– د ( ا )

– أمرك سيدي.

– كم عدد مواطنينا...؟

– مئتا مليون سيدي...

– كم عدد سكانهم..؟

– حدود التسعة مليارات سيدي...

– ابدؤوا اليوم بتنفيذ العملية وإحلال مواطنينا بسكانهم...

– عفواً.. وماذا سنفعل بأعدادهم الزائدة تلك...؟

– أبيدوهم أو مهلاً مهلاً... اجعلوهم مسخّرين لخدمة رجالنا.

– قالها وعيناه تومضان بريقاً مخيفاً جعل شبيه فهد يبتلع لسانه وهو يقول في عجلة: عُلم سيدي وسيُنفذ فوراً..

– قالها وهو يهرول مبتعداً عن زعيمهم الذي بدا أنه في أكثر حالاته شراً...

***

أدرك فارس وهو يواجه العمالقة الثلاثة أنه ربما ستكون آخر صراعاته خلال حياته الحافلة بالبطولات...

كان أكثر ما يزعجه مصير عائلته من بعده وما إن وصل إلى هذه النقطة حتى تحفزت كامل خلاياه وكأنه تم شحنها بطاقة.. كل الطاقة...

كان العمالقة وهم يوجهون عصيهم إلى جسد فارس يعتقدون أنهم تمكنوا منه أخيراً... إلا أنهم تفاجؤوا عندما ضربت أولى العصي بكتف فارس..

كان أكثر ما اثارهم ليس قدرة ذلك العملاق على إصابة فارس بل عدم مبالاته لصد أولى الضربات التي جعلت كل من بالحجرة حتى جده فهد يدلي فكه ببلاهة وهو ينظر إلى ما حدث بعدها..فما حدث يصعب تصديقه حتى لتلك المخلوقات...

كان مدرب فارس وانغ فو يهدف من خلال تدريبه لفارس ليس صقل مواهبه وقدراته فقط، وجعل منه فارساً لا يشق له غبار.. بل منح قدراته البدنية سيلاً من التجارب لجعلها تتكيف مع أي بيئة وأي زمان...

كان وانغ فو يدرب فارس علم اليوجا جنباً إلى جنب مع رياضة الكونغ فو..

كان يريد لجسده أن يتحرر فعلاً من أي ضغوط خارجية متى ما شاء، كان يدربه على سر أسرار تلك الرياضة ألا وهو الصفاء الذهني

والتحكم ببعض العمليات الحيوية بجسده وتبديل الشحنات السلبية إلى إيجابية.. وتم له ما أراد...

لقد استطاع وانغ فو خلال الخمسة عشر عاما وعلى الرغم من قصرها بالنسبة لعمره الطويل إلا أنه نقل خلاصة تجربته لذلك الصبي السعودي... فارس.

أصبح فارس ليس مجرد متلقٍ لليوجا بل أصبح مدرباً من أمهر من سبر أغوارها وفك شفراتها...

كان ذلك العملاق يبتسم في زهو وهو يصيب فارس بشحنة هائلة من ذرات الكهرباء في كتفه اليمنى ظاناً أن فارس سيسقط فوراً مغشياً عليه قبل أن يجهزوا عليه إلا أنه تفاجأ بابتسامة فارس وهو كله شوق لتلقي تلك الشحنات ليبذل جهداً خرافياً وهو يتخذ وضعية قتالية عجيبة بجسده الذي بدا أنه أخذ بالاهتزاز قليلاً قبل أن يمزق ملابس الجزء العلوي من جسده لتبرز عضلات مخيفة خبأتها تلك الملابس ليحيط بها إحدى راحتيه قبل ان يلتقط بها تلك العصا على الرغم من

تناثر شحنات الكهرباء إلا أنه بدا مستمتعا، بينما قام أحد أولئك العمالقة بفتح ذلك الباب السري أملاً في الفرار قبل أن يلقي حتفه من جراء ما رآه من هول قدرات ذلك البشري الذي بدا مستأسداً..استغل اللواء فهد تلك اللحظات ليهوي بما تبقى من ذلك الكرسي المحطم على رأس آخر العمالقة ليسقط فاقد الوعي وفارس يبتسم لجده قائلاً: مرحى يا جدي... لقد تفوقت علي مجدداً.

قالها وهو يقفز قفزة هائلة ليحط كنسر جامح خلف ذلك العملاق الذي ما أنهى إجراء فتح الحجرة حتى انتزعه فارس انتزاعاً على الرغم من ضخامة جسمه وحمله كطفل رضيع وطوح به بعيداً وهو يشير إلى جده بالهرب سريعاً..

لم يكن اللواء فهد بانتظار إشارة منه حتى هرول راكضاً باتجاه البوابة إلا أن يداً حديدية التفت حول عنقه وشبيه فارس يقول: هل نسيتموني أم تناسيتموني أيها الأبطال...؟

لم يضع فارس ثانية واحدة بل قال وهو يشير إلى شبيهه بلهجة كادت تجمد عروقه: إياك يا هذا.. لقد حطمت سنّين لجدي ثم صمت قليلاً

ليضيف: وأقسم أن انتزع فكك من موقعه قبل أن أقتلك لو مسست شعرة واحدة منه..

بدا شبيه فارس متماسكاً على الرغم من خوفه الذي تظاهر بإخفائه إلا أنه قال: وأنا أعدك أن أخرج روح جدك قبل أن تمسني أيها البشري الحقير.

كان فارس يدرك أن هناك العشرات بالطريق إليه إن لم ينه القضية سريعاً.. وكان أمام خيار يحاول دوما ألا ينتهجه إلا أن وضعه الحالي واحمرار عيني جده وذلك الشبيه يضيق الخناق عليه جعله يقول: وماذا تريد الآن مني..؟

– بدا شبيهه يستعيد ثقته بنفسه وهو يقول: حسناً أيها الشبيه المضحك ادر ظهرك لي ولا تتحرك مطلقاً..

رد عليه فارس بعد أن استدار فوراً في تصرف أقلق شبيهه إلا أنه بدا يقترب منه وبيده إحدى عصي الكهرباء والأخرى مازالت محيطة بعنق جده الذي تأوه فما كان من فارس إلا أن انتظر حتى أصبح ما بينه وشبيهه يقارب المتر ما أغرى شبيهه بأن يطلق عنق جده ليقفز جهة

ظهر فارس بتلك العصا إلا أن فارس لم يستدر هذه المرة بل انحنى حتى كاد وجهه يلامس أرضية الحجرة ثم انزلق بطريقة مرنة ليصبح خلف ذلك الشبيه الذي ارتسمت الدهشة على وجهه وقبل أن يكمل التفاتته سدد إليه فارس لكمة هائلة استهدفت فكه لتطيح بكامل أسنانه بالصف العلوي ثم تثّاها بركلة من قدمه على مؤخرة عنقه لتطلق صوتا عنيفاً دل على تحطم عظامها ليسقط مضرجاً بدمائه وفارس يقول: هذه من أجل جدي أيها الوغد، ثم التقط يد جده وسارع به ليعبر تلك البوابة العجيبة وفهد يسأله: إلى أين سنتجه يا فارس..؟

– لا أدري يا جدي ولكن لا تقلق هم من سيدلنا على طريقة الخروج

قالها وهما يتجاوزان ممراً واسعاً على امتداد مئة متر تقريباً وعن يمينه وشماله عشرات الغرف التي أشار فارس إليها قائلاً: إنها حجرات الأسرى يا جدي وعلينا إيجاد بقية الفريق قالها وهو يقتحم أولى الغرف بحثا بينما شاركه فهد اقتحام حجرة مقابلة ثم سمع شهقته قبل أن يلتفت فارس ليجد هشام مقيداً فيها فما كان منه إلا أن انتزع ذلك السرير بكامله انتزاعاً ليوقفه عمودياوقبل أن يسدد إحدى ضرباته على

جوانبه قال فهد: انتظر يا بني ثم اتجه إلى جهاز بحجم الحاسب الآلي بنهاية الحجرة ثم ضغط أحد أزراره لتفتح تلك القيود التي بيدي وقدمي هشام آلياً والذي ما إن حررت أطرافه حتى انطلق إلى حجرة مقابلة مشيرا إلى فارس بأنها حجرة نور ومارينا وقبل أن يكمل له كان فارس قد اقتلع الباب اقتلاعاً وهو يتلفت يمنة ويسرة بها دون جدوى.. فالحجرة خاوية على عروشها إلا أن هشام تقدم من أحد براويزها التي رسمت عليه صورة حديقة غناء ضخمة ثم أخذ يحدق بها وهو يصيح: فارس فارس أبي انظرا إلى أطراف تلك الصورة...!!!

كان بالفعل منظراً عجيباً... كانت داخل تلك الصورة صورتان حقيقيتان لمارينا ونور وهما تعكفان على أحد الأجهزة الصغيرة فما كان من فارس إلا أن قال: إن هؤلاء القوم يفوقوننا بمئات السنين تقدماً... إن ما يجري هو نوع من الألعاب الإلكترونية المتقدمة التي يمكن للشخص أن يعيشها ويتعايش معها قالها وهو يعبث بأحد الأجهزة بالحائط المقابل فما كان من تلك الصورة أن اهتزت قبل أن

يفتح باباً صغيراً لا يكاد يستوعب إلا لشخص واحد دون أن يتغير أي أمر..

وبعد أقل من دقيقة برزت نور ثم مارينا من ذلك المخرج وهما لا تكادان تصدقان عقليهما برؤية الجميع وقبل أن تحتضن نور فارس أشار إلى الجميع بسرعة الحركة ولكن هيهات هيهات...

فقبل أن يتحرك أي من الفريق هبط من السقف جدار فولاذي محاط بإشعاع ليزر قاتل ليغلق عليهم آخر منفذ يستطيع أبطالنا الخروج منه... وبمجرد انكفاء ذلك العازل الفولاذي وصل لمسامعهم نداء آلي بصوت زعيم أولئك القوم قائلا: مرحى أيها الأبطال... مرحى.

لم يرد عليه أي من أبطالنا حتى ترجل فارس قائلاً: من أنت يا هذا وما المطلوب...؟

أطلق ذلك المخلوق ضحكة شيطانية قائلاً: لا نريد منكم إلا جزيئاتكم فقط.

قالها وهو يعاود الضحك قبل أن يلتفت إلى "شبيه فهد" قائلاً وبصوت تعمد أن يسمعه أبطالنا...

أريـدك أن تبـدأ بأبطالنـا هـؤلاء وأريـد أن أرى جزيئـاتهم تتنصـل مـن أجسادهم إلـى أجساد رجالنا الأبرار قالها وعيناه تلتمعان في مكر... كل المكر.

******

# بصيص النصر..

عفواً سيدي.. جنودكم لا يريدون الامتثال لنا... لقد أعلنوا العصيان...!

قالها الرائد عبدالعزيز قائد قوة أمن الطرق وهو يوجه حديثه من خلال جهاز الهاتف للفريق سالم الذي حك ذقنه قليلاً قبل أن يقول: تابعوهم جيداً.. يجب ألا يغيبوا عن نواظركم وسنرسل إليكم وحدات من الكتيبة التاسعة لحل هذا الإشكال...لا أريد ضحايا حتى أُشعر القيادة العليا...

قالها وهو ينهي اتصاله ويلتقط هاتفاً آخر ليجري اتصاله بالقيادة... العليا.

كان فريق علماء تلك المخلوقات على قدم وساق ليبدأ بث الإشعاعات خلال مدة أقصاها ست ساعات، وكان ذلك الإشعاع الجديد الذي توصلوا إليه قد أعطى نجاحاً فائقاً خلال فترات الاختبار...

وعلى الجهة المقابلة كان فريق العلماء الدولي قد أنهى مشاكساته البينية بعد أن تدخل رئيس مدينة الملك عبدالله وأوضح لهم أنه بخلافهم لن يتوصلوا إلى أي نتيجة وسيتم حل الفريق، ما جعلهم يتجاوزون عقباتهم تلك.

وخلال مراقبة قائد الفريق الروسي صاح قائلاً بعد أن استغرق في متابعة جهاز رصد الإشعاعات الحيوية...: هلموا إليّ.. يبدو أن هنالك أمراً يحاك بالخفاء.

اجتمع فريق العلماء لمتابعة ذلك المرصد المتطور والذي أوضح فيه العالم الروسي أن ثمة إشعاعات بالغة التطور بدأت بالظهور منذ دقائق..

أمعن العالم الأمريكي والياباني بتلك الشاشة ثم قال الأمريكي: بالفعل إنها إشعاعات ولكن قد تكون إشعاعات بسبب معدن معين أو....قاطعه العالم الفرنسي قائلاً: لا أعتقد سيدي..أرى أنها إشعاعات عادية قد تنتشر بالصحاري بسبب ظاهرة التصحّر وزيادة حرارة الجو.

رد رئيس الفريق وهو يتفحص المرصد: هل من الممكن أن تحدد حجم تلك الإشعاعات وما مدى تأثيرها علينا...؟

تشجّع العالم الروسي وهو يعبث بجهازه بينما انشغل العالم الياباني بتتبع جهاز رصد آخر دون جدوى..

ولم تمر برهة حتى رفع العالم الروسي رأسه من جهازه قائلاً...

لقد اختفت...!

سرت همهمات متقطعة بين العلماء إلا أن العالم منير قال: كيف لها أن تنبثق وتختفي هكذا...؟

يجب أن يتم تتبعها..

رد عليه العالم الياباني: سيدي.. بالفعل لقد رصدت موقع تلك الإشعاعات...!

اتجهت كل الأنظار إليه ما زاده نشوة وهو يقول: إنها من ذلك الموقع ذاته الذي فقد فيه رجالكم !!!

قهقه العالم الفرنسي بسخرية وهو يقول: أين الجديد يا هذا... كل محيط عملنا حول تلك البقعة..!

احمرت شدقتا العالم الياباني وضاقت عيناه أكثر فأكثر حتى كادتا أن تختفيا وهو يقول صائحاً: كفاكم غطرسة أيها الإقطاعيون الفرنسيون...! أمازلتم تعتقدون أنكم قوة عظمى؟!

لم يتمالك العالم الفرنسي نفسه فما كان منه إلا أن رفع قدح الشاي الذي أمامه ليطوح به تجاه العالم الياباني إلا أن يده تجمدت وهي مرفوعة وارتفع حاجباه حتى كادا يلتصقان بفروة شعر رأسه وهو يتابع تلك الظاهرة الغريبة التي بدأت تحدث أمامه.. أمامهم جميعاً...

***

كان هشام أكثر اليائسين بعد أن سمع نداء زعيم تلك المخلوقات وهو يوجه أمره لفريق علمائه بتبديل جزيئاتهم بجزيئات أولئك المخلوقات شبه البشرية فما لبث أن قال: ليس أمامنا إلا الانتظار أيها السادة... انتظار الموت.

لم يكن يبدو أن نور ومارينا تستمعان إليه فما كان من فارس وهو يصغي إليهما سوى أن قال موجهاً حديثه لوالدته نور وزوجته مارينا: كيف علمتما أننا هنا ؟

– تنحنحت مارينا قائلة: في الحقيقة لم نعلم بل أنتم من أخبرنا...؟

ركز فارس قليلاً قبل أن يقول : أريدكن أن تصغيا بشكل سريع لي.. ما الذي شاهدتماه هناك وكيف استدليتما علينا ؟

انطلقت هذه المرة نور بالحديث بشكل موجز حتى بلغا نقطة أنهما عندما كانتا تعبثان بجهاز الرصد الحيوي سطع بصيص من النور بالأفق..

قاطعها فارس: أي أفق..؟

أفق تلك الحديقة التي كنا بها...؟

– هل تقصدين أنكما كنتما تسيران للأعلى وبطريقة تسلق الأشجار حتى توصلتما إلى هذا الباب...؟

دهشت مارينا من كيفية معرفة فارس لذلك وكأنه كان معهما حتى قالت: بالضبط... كيف لك معرفة ذلك؟

لم تكد تتمم عبارتها حتى سمع الجميع أصواتاً بالقرب من ذلك الجدار الفولاذي ومن ثم سمع الجميع صوتا غريباً يقترب منهم وقائد أولئك القوم يصيح بجهاز النداء مقهقهاً: الآن حانت لحظات وداعكم أيها الشجعان كما ودعنا علمائكم الأفذاذ سابقاً..

ما يؤسفني هو خسارتنا لشخص مثلك يا فارس.. فبعد قتلك لفارسنا أصبح مستوى تبديل جزيئاتك صفرا... ولكن أعتقد أن فرصة بقية فريقكم ممتازة، وجزيئات رجالنا ونسائنا ستستفيد حتماً من مستوى عقولكم...

كان ذلك الزعيم يتحدث وهو يستمتع بكل كلمة يلقيها على أسماعهم بينما انشغل فارس بالعبث بذلك الجهاز الخاص بتلك اللعبة النفسية التي عاشت بها نور ومارينا إلى أن قال: أعتقد أننا من سيقول لكم وداعاً أيها الأوغاد قالها وهو يضغط زراً معيناً فيُفتح على أثره باب تلك اللعبة ليستحث بقية الفريق على ولوجها وعلى الرغم من استغرابهم إلا أنهم بدؤوا بالدخول إليها فيما ارتجت الحجرة وممرات

تلك المملكة بصوت زعيمها وهو يزمجر: أطلقوا الإشعاع لا تدعوهم يخوضون اللعبة..

كان آخر أفراد أبطالنا قد ولج اللعبة إلا أن فارس قفز خارجها وهو يعطي أمره بإغلاق البوابة بينما ارتسمت معالم الهلع على وجهي نور ومارينا بعدما اكتشفتا أنه لا بد أن يكون شخص منهم خارج اللعبة ليسيرها نحو الاتجاه المطلوب..

فما كان من نور إلا أن سقطت مغشياً عليها فيما انكفأت مارينا على وجهها وهي تبكي من قلبها وهي تسترجع كامل تفاصيل معرفتها بفارس وهما بسن الطفولة وبداية سن اللعب، ومن ثم الدراسة والمراهقة ثم الزواج...

كانت مارينا تعتصر ذكرياتها اعتصاراً بينما كان فهد يصرخ من خلف اللعبة: ليس أنت يا فارس... ليس أنت.

أنا شيخ هرم ولا أمل بحياتي... لقد أفنيت حياتي من أجلك... هل تسمعني أيها الابن العاق قالها وقد ترك الدموع تنسكب انسكاباً لتغطي

لحيته وتبللها فيما مال هشام نحو ذلك الباب الشفاف محاولاً فتحه دون جدوى...

وفي هذه اللحظات انشغل فارس بتوجيه اللعبة لتفتح إحدى بواباتها الرقمية بالقرب من سطح الأرض وعلى ظهر اليابسة..

لم يكد فارس يدخل الإحداثيات المطلوبة حتى اهتزت اللعبة وبدأت مسارها بكل يسر إلى المجهول... فيما جلس فارس القرفصاء وارتسمت ابتسامة جميلة على محياه وهو يرى أنبوبة ذلك الإشعاع تبرز من سقف الحجرة وتبدأ بإطلاق الإشعاع... إشعاع الموت...

******

# رحلة النصر..

كانت الدقائق تمر كالساعات على أعضاء فريقنا وهم بتلك اللعبة النفسية الغريبة... أدغال وجبال وبحار مرت عليهم ومن ثم بدأت اللعبة بالتحرك وكأنهم في قطار زمني رهيب.. مرت ذكرياتهم عليهم كلمح البصر واحتبست الدموع بأعينهم وأصبح الفريق كقطعة من الجليد بعدما مروا بمنطقة صقيع وبعدها انفك الجليد لتبرز رمال صحراء قاحلة على مد النظر... كل هذا وأبطالنا مكتفون بالجلوس وعدم الحركة.. كان أبطالنا قد فقدوا رونق الحياة بعدما ضحى فارس بمصيره من أجلهم... كانوا جميعاً يعيشون من أجل ذلك الصبي الذي غدا شاباً يافعاً... وبعد كل ذلك العناء يسلبهم بكل بساطة ذلك ليحافظ هو على حياتهم التي أفنوها من أجله وليفقدها هو...!!

معادلة غريبة... لا يفهمها إلا... إلا الآباء، الأجداد... إلا الأحبة... كانت تلك العائلة مثالاً للحب والوفاء والتضحية... كانت عائلة مثالية بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ...

الكل يضحي من أجل واحد، والواحد يضحي من أجل الكل..

لم تكد تنتهي ذكريات أي من أبطالنا قبل أن يسمع الجميع فرقعة عنيفة ويجدوا أنفسهم فجأة أمام بوابة أخرى مشابهة لتلك البوابة التي ولجوا منها فما كان منهم إلا أنهم أبوا أن يخرجوا حتى صاح فيهم فهد قائلاً: احترموا رغبة فارس.. لقد ضحى بحياته من أجلكم، فلا تخيبوا ظنه وتجعلوا أولئك الأوغاد ينتصرون عليه وعلينا...

لم يعره أي منهم انتباهاً، إلا أنه أكمل: إنها الأرض يا أبنائي، إنها بلادنا والآلاف بل الملايين من الشباب كفارس بها ينتظرهم آبائهم وأمهاتهم، إنه الوطن أيها الأبطال...

حركت تلك الكلمات والعبارات نياط قلوبهم وعقولهم وكانت كأكسير الحياة فما كان من نور حتى رضخت أخيراً وكانت أول من خطت بقدميها لتبرز كحورية انبثقت فجأة من قلب الماء أمام أعين أولئك العلماء وجماهير الجنود فما كان منهم إلا أن هللوا وكبروا حين أكمل اللواء فهد تقدمه ليشق الطريق أمام أبنائه ويخرج وهو مغمض عينيه من جراء أشعة الشمس الحارقة بينما هرول الفريق سالم إليه وهو لا

يكاد يصدق بينما انتفض فريق العلماء أمام ذلك الظهور المدهش وكأنه من العدم لفريق أبطالنا وهم الذين ظنوهم لقوا حتفهم تحت تلك الرمال...

***

احمرت عينا ذلك الزعيم وهو يرى فارس مبتسماً وهو يتجرع ذلك الإشعاع دون أن يؤثر فيه قيد أنملة وهو يقول: ما الذي يجري موجهاً حديثه "لشبيه فهد "الذي رد بكل وجل: لقد قُتل شبيهه لدينا يا سيدي، وتلك الإشعاعات مخصصة فقط لأشباههم... وأشباهنا..
ماذا: اطلقها زعيمهم وهو يصرخ قائلاً: أرسلوا إليه رجالنا ومزقوه تمزيقاً.. أريد رأسه يقدم لي حالاً... ثم ضرب منضدة أمامه حتى أن قبضتيه اخترقتها وهو يضيف: حالاً.

انتفض شبيه فهد وانطلق بجهاز ندائه الآلي وهو يقول: أعلنوا حالة الطوارئ فوراً واقتلوا ذلك البشري الدخيل وأريد رأسه فوراً... أكرر: رأسه فوراً.

لم يكن النداء يصل إلى مسامع فارس حتى تحرك فجأة بالحجرة ليعبث بجهاز حاسب نور التي نسيته وهي تلج من باب تلك اللعبة ثم يقفز كنمر جريح قفزة بدت مستحيلة ارتفع خلالها قرابة سبعة أمتار ليلتقط تلك الأنبوبة الخاصة بذلك الإشعاع الغريب، ومن ثم يحلها بطريقة هندسية ويدخل بها إحدى بطاريات ذلك الحاسوب بعد أن نزعها بطريقة احترافية وأوصلها بسلكين آخرين دقيقين مكونا ما يشبه القنبلة الذاتية ثم يغلق فوهة الجهاز وهو يترك نفسه ليسقط من سقف الحجرة ولم تكد قدماه تلامسان الأرض حتى كان باب تلك اللعبة يُفتح مجدداً له وهو يكمل إجراء تحديد الإحداثيات قبل أن يثبت بها سلكين آخرين دقيقين كتلك التي بفوهة الإشعاع ثم يلجها مجدداً وزعيم أولئك القوم ينظر محدقاً لما يفعله فارس وهو يحادث نفسه: ماذا يفعل هذا المعتوه..؟!

وقبل أن تكتمل عبارته كانت كل أبواب الجحيم قد شرعت...
كان جنود المملكة قد وصلوا بكامل تجهيزاتهم الحربية وكان باب تلك اللعبة قد أغلق باللحظة التي وثب فيها ثلاثون مقاتلاً محترفاً من عمالقة المملكة وباللحظات ذاتها دوت فرقعة بسيطة قبل أن تنفجر فوهة ذلك المدفع الإشعاعي بأعلى السقف، وفي أثناء ذلك انفجر جهاز التحكم باللعبة بشكل متزامن لتنفجر اللعبة انفجاراً إشعاعياً بلغت شدته أن جعل كل الفرق العسكرية والعلمية بأعلى المنطقة تسقط على الأرض وكأنه انفجار نووي قد أحرق كل باطن الأرض بمن... فيها.
انفجرت نور ومارينا بالبكاء بعدما أيقن الجميع أن فارس كان من ضمن القتلى، فلا يمكن لمخلوق بشري أو حتى فضائي أن ينجو من انفجار إشعاعي بهذا الشكل.

لدرجة أن رئيس مدينة الملك عبدالله للطاقة النووية أكد أن هذا الانفجار يفوق انفجار هيروشيما[١٥] مئة مرة من شدته حيث جرى فيما يبدو على بعد آلاف الكيلومترات بباطن طبقة القشرة الأرضية وعلى الرغم من هذا ظهر تأثيره للأعلى...!

كان الكل سعيداً عدا فريق أبطالنا والفريق سالم واللواء سعد.. كان الجميع أيقن أن العدو قد دُحر تماماً خصوصاً بعد أن قص عليهم اللواء السابق فهد ما حدث بالأسفل وأنهم قوم يفوقوننا علماً آلاف

(١٥) القنبلة الذرية قد استعملت مرتين. التفجير الأول والأكثر شهرة كان في مدينة هيروشيما اليابانية. فقد أسقطت قنبلة يورانيوم تزن أكثر من ٤.٥ طن وأخذت اسما هو "ليتيل بوي" على هيروشيما في السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥. وقد اختير جسر أيووي وهو واحد من ٨١ جسرا تربط السبعة أفرع في دلتا نهر أوتا ليكون نقطة الهدف. وحدد مكان الصفر لأن يكون على ارتفاع ١٩٨٠ قدماً. وفي الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة تم إسقاط القنبلة من إينولا جيي. وقد أخطأت الهدف قليلا وسقطت على بعد ٨٠٠ قدم منه. في الساعة الثامنة وست عشرة دقيقة وفي مجرد ومضة سريعة كان ٦٦٠٠٠ قد قتلوا و٦٩٠٠٠ قد جرحوا بوساطة التفجير المتكون من ١٠ كيلو أطنان. كانت الأبخرة الناجمة عن التفجير ذات قطر يقدر بميل ونصف. وسبب التفجير تدميرا بالكامل لمساحة قطرها ميل. كما سبب تدميرا شديدا لمساحة قطرها ميلان. وفي مساحة قطرها ميلان ونصف احترق تماماً كل شيء قابل لأن يحترق. ما تبقي من منطقة التفجير كان متوهجاً أو محمراً من الحرارة الشديدة. اللهب كان ممتداً لأكثر من ثلاثة أميال قطراً.

المرات وكانوا بصدد استبدال جزيئاتنا واستعمار أجسادنا خلال يوم أو أيام معدودة...!

كان الفريق سالم معجباً كل الإعجاب باللواء فهد وفريقه وكان أول تصرف له بعد سماعه القصة وبعد أن أوصلها لكبار المسؤولين بالدولة أن يتم التعامل مع أولئك الجنود المستعمرة أجسادهم بطريقة الأسر وعدم قتلهم لأنهم ضحايا وليسوا جناة...

وبالفعل بعد أن تم ذلك الانفجار العظيم سقط أولئك الجنود العشرون موتى وبشكل طبيعي بعد أن دمر ذلك الإشعاع كل ما يمت بصلة لذراتهم داخل مركزهم الرئيسي تحت الأرض.

أما فريقنا... فريق الأبطال فقد كان اضعف من أن يتجاوز سريعا مأساته بفقدانه فارس... وخلال نوبات الألم والبكاء التي ألمت بنور ومارينا جاءهم صوت.. كان هو آخر صوت يتوقعونه في عالمنا هذا...

صوت الابن والزوج والحبيب... صوته... فارس

صاحت مارينا مغشياً عليها وتبعتها نور وهي تبتسم قبل أن يغشى عليها ايضا نتيجة الإجهاد النفسي والعقلي الذي ألم بهما خلال تلك الرحلة العصيبة... رحلة النصر..

ازدادت دموع فهد وهشام انسلالا وهما يحتضنان فارس حتى أنساهم ذلك عن نسيان السؤال حول نجاته.. إلا أن ذلك السؤال أتى من الفريق سالم وهو يقول: حمداً لله على سلامتك أيها البطل... ولكن أخبرنا كيف خرجت من ذلك الانفجار الهائل...؟

لم يتمم عبارته حتى تجمع فريق العلماء الدوليين حول فارس وهم كلهم شوق لمعرفة الجواب..

فما كان من فارس إلا أن استعاد ذاكرته وهو يقول: لقد حولت حاسب والدتي إلى قنبلة موقوتة، وربطتها بفوهة جهازهم الإشعاعي واعتمدت على إيصال ذلك بتلك اللعبة الرهيبة..

– تدخل العالم الأمريكي قائلاً: وكيف كونت تلك اللعبة ذلك الانفجار العظيم...؟

أومأ الفريق سالم وكأنه يشارك العالم الأمريكي السؤال نفسه فما كان من فارس إلا أن قال وهو يغمز بعينيه: إنها أسرار بلادي العظمى يا سيدي... ثم أنهى النقاش والعالم الأمريكي يكاد يتميز غيظاً بينما حافظ الفريق سالم على إخفاء ابتسامته وقلبه يرقص طرباً لرد فارس... فبالفعل... أنها أسرار عظمى قد لا تعود بالخير على بلادنا إن أفشيناها...

تمتم العلماء بهمهمات ساخطة إلا أن الفريق سالم أنهى النقاش بقوله: هيا جميعاً، كل إلى موقعه لإنهاء إجراءات القضية.. لقد انتهى كل شيء.

ولم يتمم عبارته حتى همس اللواء سعد بأذنه وهو يكمل: ودون تدخل الغرباء...

ضغط الفريق سالم براحة يده على يد اللواء سعد واتجه إلى اللواء فهد وفارس وبعد تفرق الجميع لشؤونهم التفت الفريق سالم لفارس قائلاً: قل لي حقاً كيف حولت تلك اللعبة إلى قنبلة إشعاعية يا فارس...؟

تبسم فارس وهو يرتشف كوباً من الماء البارد ويلبس ملابس جديدة كانت بانتظاره: إنها سر حياة ذلك الشعب..

التفت إليه فهد مستعجباً إلا أنه أكمل: إنهم شعب يعيش على الأوهام، وإيهام غيرهم بقدراتهم الفائقة.. وتنحنح قليلاً قبل أن يكمل: إن ما يميزهم عنا فقط أنهم شبيهون لنا بالبنية الجسدية فقط.. أما العقول فنحن أفضل منهم...

قاطعه هشام: وما سبب تقدمهم الهائل ذلك...؟

رد عليه فارس: بسبب أنهم لم يعيشوا أي مراحل حروب سابقة، ولتتخيلوا معي أنهم من عشرات آلاف السنين لم يخوضوا حربا...! ليس تقدمهم وليد عقولهم بل وليد التطور الطبيعي للمخلوقات الحية، ولو كان أهل الأرض لم يُشغلوا أنفسهم بالحروب وإبادة بعضهم الآخر... لكنا الآن نعيش على كوكب الزهرة[١٦] بأمان...

(١٦) الزُهرة أو أناهيذ[١] ثاني كوكب في مجموعتنا الشمسية من حيث قربه إلى الشمس، وهو كوكب ترابي كعطارد والمريخ، شبيه بكوكب الأرض من حيث حجمه وتركيبه، سبب تسمية كوكب الزهرة بالزهرة: مصدر التسمية –لسان العرب– الزُهرة هي الحسن والبياض، زَهرَ زَهْراً والأَزْهَر أي الأبيض المستنير. والزُهْرة: البياض النير. ومن هنا اسم كوكب الزهرة يعود إلى سطوع هذا الكوكب من الكرة الأرضية وذلك لانعكاس كمية كبيرة من ضوء الشمس بسبب كثافة الغلاف الجوي الكبيرة.

حسناً: قالها اللواء سعد مكملاً: أيها البطل هل لك أن تجيبنا كيف تم ذلك الانفجار؟

قاطعه فهد قائلاً: بل كيف وصلت إلينا يا بني؟

رد فارس متبسما: عبر اللعبة ذاتها...

ظهرت ملامح الغضب على وجه فهد وهو يهز فارس قائلاً: ولماذا لم تأت معنا أول مرة وجعلت قلوبنا تموت ألف مرة قلقاً عليك...؟

كانت مارينا ونور هذه اللحظات قد بدأتا بالاستيقاظ من إغماءتيهما وبدأتا بسماع بقية حديث فارس الذي قال: اعلم يا جدي أنها قد تستوعبنا ولكني لا أضمن أن تصل أيديهم إليها باللحظات الأخيرة وحتما سيعيدوننا لهم... ثم إنني أعلم أنني لن أهلك بإشعاعهم خصوصاً بعد قتلي لشبيهي ذاك..

وبعد أن قالها وكأنه تذكر فك جده فسأله وهو يتحسسه: كيف فكك يا جدي؟

رد عليه فهد مازحاً: إنه يكاد يكفي لقضم أذنك.. قالها وهو يلوح بيده نحو أذن فارس الذي أكمل:

لقد تعمدت أن أعطب جهاز اللعبة بعد أن برمجته على إيصالي لموقعكم نفسه، كما تعمدت أن أجعله ينفجر ذاتياً وبحده الأقصى تزامناً مع الجهاز الإشعاعي الذي حاولوا قتلي به...

– تساءل الفريق سالم بشغف حقيقي: وكيف له قوة الانفجار هذه يا بني؟

– أعتقد أنني عبثت به قليلاً واخترت أن يكون بطريق رجعته مبرمجاً على بيئة يكثر بها المواد الفلزية والكيميائية كمادة الزئبق[١٧] واخترت أن تكون المحاكاة عند أقصى درجاتها التأثيرية، وعند حدوث أي انفجار بالحجرة وبتزامن مع انفجار اللعبة سيتم

انفجارها بكامل القوة التي بداخلها...وهذا هو عيب هذه اللعبة وفي الوقت نفسه الميزة التي جعلت أولئك القوم يستغلونها لإبادة جنس الديناصورات كما أكدوا عند بداية أسرهم لنا.

---

(١٧) الزئبق عنصر كيميائي له الرمز Hg والعدد الذري ٨٠ في الجدول الدوري، وهو سائل فضي، كثافته (١٣.٥٤ غ/سم٣)، يتجمد بلون فضي مائل للزرقة يشبه الرصاص في مظهره وذلك عند (–٣٨.٩ درجة مئوية)، ويغلي عند (٣٥٦.٩ درجة مئوية).
عند إمرار شرارة كهربية في بخار الزئبق، ينبعث منه وميض مبهر، وأشعة فوق بنفسجية.
عند درجة حرارة (–٢٦٩ درجة مئوية) يصبح الزئبق كُثافة وبالتالي يصبح الزئبق (موصلاً فائقاً) – أي تنعدم مقاومته للتيار الكهربي؛ بينما درجة حرارة الصفر المطلق هي (–٢٧٣.١٦ درجة مئوية) وهي درجة الحرارة التي تتوقف عندها حركة الجزيئات.
إن الصفة غير العادية لحالة التوصيل الفائق لا تكمن فقط في انعدام مقاومة التيار الكهربي، وإنما أيضاً في إنتاج مجالات مغناطيسية ، كما يمكن تخزين الكهرباء بداخلها.

يااااه: خرجت هذه الكلمة لا شعورياً من شفتي الفريق سالم وهو يتطلع لفارس بإعجاب... كل الإعجاب وهو يشير إلى عقله: أعتقد أنك تجاوزت كثيراً تلك الصورة التي رسمناها لك بتقاريرنا السرية... أنت يا فارس بطل... بطل سعودي لن يجود الزمان بمثلك ما حيينا إلا ما شاء الله... ولن ننسى أنك وبقية الفريق أنقذتم الأرض من أعنف خطر حل بها بعد قضيتكم السابقة تلك[١٨]...

قالها وهو يشبك يده اليمنى بيد فهد والأخرى بيد فارس ويسير نحو تلك المروحية الحربية السوداء الرابضة باتجاه الغروب... غروب الشمس...

– تمت بحمد الله –

(١٨) للمزيد من التفاصيل راجع رواية فارس العدد رقم ٢.